جامعة قطر

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

البعد الإصلاحي في حوارات سورة (يوسف) عليه السلام

إعداد

زارا يوزبروا

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات

كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

للحصول على درجة الماجستيرفي

التفسير وعلوم القرآن

يناير 2021/1442

© 2020. زارا يوزبروا. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالبة زارا يوزبرووا بتاريخ 25/11/2020، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

_____

الأستاذ الدكتور: محمد عبد اللطيف

المشرف على الرسالة

_____

الأستاذ الدكتور: محمد خازر المجالي

مناقش

_____

الأستاذ الدكتور: عدنان الحموي العُلَبِي

مناقش

_____

تمّت الموافقة:

_____

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخّص

زارا يوزبرووا، الماجستيرفي التفسير وعلوم القرآن :

يناير 2021.

العنوان: البعد الإصلاحي في حوارات سورة (يوسف) عليه السلام.

المشرف على الرسالة: الأستاذ الدكتور: محمد عبد اللطيف

هذه الدراسة تُعْنَى ببيان للبعد الإصلاحي في حوارات سورة (يوسف) عليه السلام، وقد أوردت فيها تعريفاً عاماً بالسورة، وبينت مدلول الحوار وأهميته، ومفهوم البعد الإصلاحي، وعرضت البعد الإصلاحي في حوارات مرحلة الطفولة، وفي حوار إخوة يوسف عليه السلام مع والدهم في السنوات العجاف، وفي الحوارات في مصر، وفي بيت العزيز، ثم في حوار يوسف مع صاحبَي السجن، وحوار يوسف والملك، وحوار إخوة يوسف معه ومع والدهم، ثم مناجاة يوسف ربه، وسؤال الله العصمة، وسؤاله حسن الخاتمة، ليصل البحث إلى أن الحوار القرآني يحمل في طياته عقائد إيمانية، وأخلاقاً ربانية، ويصف أحوالاً نفسية، ويبين مواقفَ متباينة أو متوافقة، ويقف عند خطرات النفوس، ويحلل الكلمات التي تصدرها الألسن، ويحرك العقول حتى تفكر وتتأمل، وهو في هذا كله يقدم تربية متكاملة، قادرة على إحياء القلوب، وتنشيط العقول، ورفع الهمم، ويقدم منهجاً إيجابياً متكاملاً يمكن أن نستفيد منه في شتى مواقف الحياة.

وهذا يعني أنه حريّ بالمؤمن أن يتدبر ويتوقف عند هذه الحوارات، كما يقف عند آيات الأحكام، وفوائد القصص وغاياتها.

الكلمات المفتاحية: (البعد الإصلاحي، حوار، يوسف، فلسطين، مصر)

ABSTRACT

Heading: The reform dimension in the dialogues of Surah Yusuf, peace be upon him.

This study is concerned with explaining the reform dimension in the dialogues of Surah Yusuf, peace be upon him, and I provided in it a general definition of the surah, and showed the meaning and importance of dialogue, and the concept of the reform dimension, and I presented the reform dimension in the dialogues of the childhood stage, and in the dialogues of Yusuf's brothers, peace be upon him, with their father during the lean years, and in the dialogues in Egypt, and in Aziz's house, then in Yusuf's dialogue with those who were in the prison, and in the Yusuf's dialogue with king, and in the dialogue of Yusuf's brothers with him and their father, then in Yusuf's conversation with Allah, asking Allah for infallibility and good conclusion. So, the research comes to, that the Quranic dialogue carries within it beliefs of faith and divine ethics, and describes competitive conditions, and shows contrasting or compatible situations, and stands at the dangers of souls, analyses the words issued by the tongues, and moves the minds and contemplate. And in all of this, it provides an integrated capable of reviving hearts, stimulating minds, raising motivation, and providing an integrated approach that we can benefit from it in various life situations.

This means that the believer should contemplate and pause at these conversations, just as he should stop at the verses of provisions, the benefits of stories and their absence.

Key Words: (Reform dimension, dialogue, Joseph, Palestine, Egypt).

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد..

فأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من وقف بجانبي وكان عوناً بعد الله في خروج هذا العمل، وكامل تقديري لأهلي، وخاصة لوالدتي الغالية الحبيبة التي شجعتني على طلب العلم وتعلمه، وأبنائي الذين تحملوا انشغالي وتقصيري معهم.

وأتقدم بالشكر الجزيل وصادق الدعاء لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف، لتكرمه بالإشراف على هذه الرسالة، وما قدّمه من نصح وتوجيه، ودعمه لي من أول يوم لي على مقاعد الدراسة الجامعية، ومتابعته التي لا تخلو من الحرص والصبر، حتى اكتملت الرسالة بهذه الصورة.

كما أتقدم بالشكر لعميد الكلية فضيلة الدكتور إبراهيم الأنصاري والعميد المساعد لشؤون البحث والدراسات العليا فضيلة الأستاذ الدكتور محمد المجالي، ومنسق برنامج التفسير وعلوم القرآن فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد شكري، في دفعهم للأفضل في خدمة كتاب الله ونفع عباده.

والشكر موصول لجميع أساتذتي في الدراسات العليا، ولكل من قدم لي عوناً برأي، أو تشجيع، أو دعاء، كما أتوجه بشكري الجزيل لعادل عبد الله الفلاح وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت سابقاً، ومؤسستهم في آذربيجان. وأخص من أخواتي الفاضلات في الله، وزميلاتي في الجامعة الأخت كوثر سامي عبد الرحيم التاية، والأخت نبيلة محمد زهير أبو زناد، على صبرهما، ومساعدتهما، ودعمهما لي. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... **هـ**

المقدمة **1**

إشكالية البحث وأسئلته:..... 1

أسباب اختيار البحث: 2

أهداف البحث: 2

أهمية البحث: 2

حدود البحث: 3

منهج البحث: 3

الدراسات السابقة:..... 3

هيكل البحث: 6

التمهيد : مدخل إلى السورة وتعريف أهم المصطلحات..... **9**

أولاً: تعريف عام بالسورة..... 9

ثانياً: مدلول الحوار وأهميته 17

ثالثاً: مفهوم البعد الإصلاحي 23

الفصل الأول: الحوارات في فلسطين **26**

المبحث الأول: الحوار في مرحلة طفولة يوسف عليه السلام 26

المطلب الأول: حوار يوسف مع والده عليهما السلام..... 26

المطلب الثاني: حوار إخوة يوسف عليهم السلام مع بعضهم للتخلص منه..... 30

المطلب الثالث: حوار إخوة يوسف مع والدهم عليه السلام بشأن أخذ يوسف معهم 37

المطلب الرابع: حوار إخوة يوسف مع والدهم في أكل الذئب يوسف عليه السلام 40

المبحث الثاني: حوار إخوة يوسف عليه السلام مع والدهم في السنوات العجاف..... 43

المطلب الأول: حوارهم مع والدهم عندما مُنعوا الكيل 43
المطلب الثاني: حوارهم عند اصطحاب أخيهم بنيامين إلى مصر 45
المطلب الثالث: حوارهم مع أبيهم عندما عادوا بدون أخيهم 48
المطلب الرابع: حوارهم مع أبيهم عند وصول القميص 51
الفصل الثاني: الحوارات في مصر **54**
المبحث الأول: الحوار في بيت العزيز 54
المطلب الأول: حوار العزيز مع زوجته 54
المطلب الثاني: حوار امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام 56
المطلب الثالث: حوار العزيز مع زوجته ويوسف 60
المطلب الرابع: حوار امرأة العزيز ونسوة المدينة 63
المبحث الثاني: حوار يوسف مع صاحبَي السجن 67
المبحث الثالث: حوار يوسف والملك 71
المبحث الرابع: حوار إخوة يوسف معه ومع والدهم 78
المطلب الأول: حوار يوسف مع إخوته وأخذ أخيه 78
المطلب الثاني: حوار إخوة يوسف وسؤالهم الميرة 82
المطلب الثالث: حوار يوسف مع والده عند دخول مصر 85
المبحث الخامس: مناجاة يوسف ربه 87
المطلب الأول: سؤال الله العصمة 87
المطلب الثاني: سؤال الله حسن الخاتمة 89
الخاتمة **91**
التوصيات **93**
قائمة المصادر والمراجع **94**

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه، ورزقه النعمة والبيان وفهَّمه، والقائل في محكم التنزيل: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ﴿٤﴾ [الرحمن].

والصلاة والسلام على النبي الهادي المرشد العظيم محمد صلى الله عليه وسلم الذي دعا إلى التوحيد، وإلى كل خير وفلاح، وما فيه من مصلحة الفرد والمجتمع، وهو الذي قال الله تعالى له: ﴿ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدينَ﴾ [النحل: 125].

وقد كانت دعوة التوحيد الذي ينبني عليه كل إصلاح أساسَ دعوات الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسولٍ إِلّا نوحي إِلَيهِ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلّا أَنا فَاعبُدونِ﴾ [الأنبياء: 125].

وجاءت سورة (يوسف) عليه السلام في حواراتها تحمل معاني الدعوة والإصلاح، وهي من السور القليلة في القرآن الكريم التي اشتملت على قصة واحدة، قصة يوسف عليه السلام، وفيها كثيرٌ من فنون الخير، والأمور التي لا بد للمسلم أن يَعِيها. وهذه الأمور أمور تربوية واجتماعية وإصلاحية، وأمور فيها من واقع الحياة وقوامها، كالاقتصاد والسياسة وغيرها.

فسورة (يوسف) عليه السلام حوت كثيراً من الدروس والعبر، وأسأل الله تعالى أن يوفقني لذكرها واستنباطها.

إشكالية البحث وأسئلته:

تتجلى إشكالية البحث في السؤال المركزي الآتي: ما البعد الإصلاحي في الحوارات الواردة في سورة (يوسف) عليه السلام؟ ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

1. ما مفهوم البعد الإصلاحي؟
2. كيف ظهر البعد الإصلاحي في حوارات السورة؟
3. ما معالم هذا البعد الإصلاحي؟
4. ما الثمرة المرجوة من البعد الإصلاحي في هذه الحوارات؟

أسباب اختيار البحث:

1. رغبتي في خدمة كتاب الله عز وجل.
2. حاجتي الشخصية لفهم الدعوة إلى الإصلاح من خلال القرآن.
3. فهم حوارات السورة وما فيها من مجالات دعوية لخدمة أهل بلدي في آذربيجان.

أهداف البحث:

1. بيان أهمية الحوارات القرآنية في البعد الإصلاحي.
2. توظيف الحوار بين الأشخاص في مجال الإصلاح.
3. رصد معالم البعد الإصلاحي في حوارات سورة (يوسف) لبيان مدى بيان قدرة الشخصية المسلمة المتوازنة على الإصلاح والدعوة إليه، من خلال الحوارات اليومية.
4. تسليط الضوء على قدوات الأمة وفي مقدمتهم الأنبياء عليهم السلام.

أهمية البحث:

1. تعلق موضوع البحث بمقاصد القرآن وما فيه من وسائل لإصلاح الفرد والمجتمع.
2. حاجة الأمة الإسلامية للدعوة إلى القرآن الكريم سعياً لالتماس وسائل الإصلاح فيه، وتقويم الفرد والمجتمع.

3. إلقاء الضوء على أهمية الحوار في التعريف بالمفاهيم والدعوة إلى المبادئ.

4. بيان أثر حوارات سورة (يوسف) في التأثير والإصلاح.

حدود البحث:

تنحصر حدود البحث في الحوارات الواردة في سورة (يوسف) عليه السلام.

منهج البحث:

اقتضت الدراسة اتباع المناهج الآتية:

- المنهج الاستقرائي في تتبع حوارات السورة الكريمة.
- المنهج التحليلي لبيان البعد الإصلاحي في هذه الحوارات، وكيفية عرضه وبيان أبعاده، وتأثيره على الآخرين.

الدراسات السابقة:

1. **القيم الأخلاقية المحمودة والقيم الأخلاقية المذمومة في سورة (يوسف)** عليه السلام، للباحث الخطيب، محمد إبراهيم مصطفى، مجلة البحوث النفسية والتربوية، جامعة المنوفية– كلية التربية، المنوفية/مصر، مج24، ع3، عام 2009م، تكلم فيه عن حقائق عظيمة شملتها هذه السورة المباركة، فهي منهج تربوي متكامل للإنسان المسلم، تضمنت الإيمان بالله وقضائه وقدره، وعمل الصالحات والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، مما دفع الباحث لاستقراء هذه الحقائق والتعرف عليها.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في كون دراستي تتعلق بالحوارات وما فيها من البعد الإصلاحي دون تعرض لما في الآيات الأخرى في السورة.

2. **تأملات في سورة (يوسف)**، للباحث الطائي، فوزي، المورد، وزارة الثقافة – دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، مج40، ع30، عام 2013م، تكلم فيه عن أهمية القصص القرآني ومقاصده، وتطرق إلى بعض الأبعاد الإصلاحية في سورة (يوسف) عند عرض بعض التأملات، دون التطرق للحوارات بشكل خاص، ولا التطرق للمكان والزمان، ولا ملابسات الحوار.

أما هذا البحث فيختص بسورة (يوسف) وحواراتها، لملابسات الحوارات، ومكانها وزمانها والشخصيات، والبعد الإصلاحي دون التطرق لغير هذه الأمور.

3. **الدلالة السياقية في سورة (يوسف)**، للباحث شرف نعيم مصطفى يحيى، جامعة الأزهر – مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، مج4، ع28، عام 2009م، تكلم فيه عن وصف الله تبارك وتعالى سورة (يوسف) من بين القصص القرآنية بأنها أحسن القصص في كتاب الله عز وجل، حيث قال تعالى فيها: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هذَا القُرآنَ﴾ [يوسف: 3].

ولعل ذلك يرجع إلى ما تضمنته هذه السورة من كثرة العبر والمواعظ والمشاعر الروحية، والأبعاد النفسية، وكثير من صنوف المحن التي قاسى منها يوسف الصديق عليه السلام.

أما دراستي هنا فتتبع الحوارات في السورة استخلاصاً للبعد الإصلاحي دون غيره من مواعظ وتأملات حوتها الحوارات.

4. **سورة (يوسف): قراءة نفسية**، للباحث عشوي، مصطفى مولود، مجلة جامعة الملك سعود – العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مج15، ع2، عام 2003م، تكلم عن سورة (يوسف)، وأنها من السور التي تعتمد على القصة (القصص) لتعليم الناس دروساً في السلوك واستخلاص العبر من تجارب الآخرين. ويبين أن هذه السورة نموذج للصراع بين الحق والباطل، وبين العقل والهوى، وبين المصالح الشخصية القائمة على الأنانية والمصلحة العامة للأسرة والمجتمع والإنسانية. وهذه السورة أيضاً مثال واقعي يبين كيف أن المظلوم قد يعامل كظالم والبريء قد يصبح متهماً.

ودراستي تعنى بالحوارات في السورة من خلال الأشخاص وما تحيط بهم من ملابسات لاستنتاج البعد الإصلاحي فيها.

5. **أساليب التدريس والتقويم والقيم الأخلاقية في السورة**، للباحث المواجدة، بكر سميح، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، جامعة عمان الأهلية – عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، عمّان، مج17، ع2، عام 2013م، تكلم فيه عن تعريف سورة (يوسف) عليه السلام من خلال بيان ما لاقاه من أنواع البلاء، ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين في بيت عزيز مصر، وفي السجن، والمقصود بذلك تسلية النبي ﷺ بما مَر عليه وعلى المؤمنين من الشدائد والمصائب والنكبات، واستقراء أساليب التدريس وهي القصة، والتلقين، والحوار، وحل المشكلات، والرحلة والتنقيب، والترغيب والترهيب، والشرح والتفسير، ثم استقراء أساليب التقويم الذاتي وهي: القبلي، والبنائي، والختامي. ثم استقراء القيم الأخلاقية المحمودة وهي: النصيحة، والأمانة، والصبر، والصدق،

والعفة، والتسامح، والقيم العقدية. إضافة إلى القيم الأخلاقية المذمومة وهي: البغضاء، والحسد، والكذب، والكيد، والمكر، والاحتيال، والظلم، والخيانة.

ودراستي تلقي الضوء على الحوارات في السورة وتتبع البعد الإصلاحي فيها.

6. **حوارات سورة (يوسف): منهجيات قرآنية في التأثير والإقناع**، بحث منشور لـ: ناجي وماجد رجب العبد سكر، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، القدس، مجلد 2، ع 44، 2018.

هو بحث محدد في منهجيات التأثير والإقناع كما يفيد عنوانه ومحتواه، وهذا جزء من موضوع الرسالة.

هيكل البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وفصلين فيهما عدد من المباحث يتفرع عن بعضها عدد من المطالب، ثم خاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد وفيه: تعريف عام بالسورة، ومدلول الحوار وأهميته، ومفهوم البعد الإصلاحي

الفصل الأول: الحوارات في فلسطين

المبحث الأول: الحوار في مرحلة طفولة يوسف عليه السلام

المطلب الأول: حوار يوسف مع والده عليهما السلام

المطلب الثاني: حوار إخوة يوسف عليهم السلام مع بعضهم للتخلص منه

المطلب الثالث: حوار إخوة يوسف مع والدهم عليه السلام بشأن أخذ يوسف معهم

المطلب الرابع: حوار إخوة يوسف مع والدهم في أكل الذئب يوسف عليه السلام

المبحث الثاني: حوار إخوة يوسف عليه السلام مع والدهم في السنوات العجاف

المطلب الأول: حوارهم مع والدهم عندما مُنعوا الكيل

المطلب الثاني: حوارهم عند اصطحاب أخيهم بنيامين إلى مصر

المطلب الثالث: حوارهم مع أبيهم عندما عادوا بدون أخيهم

المطلب الرابع: حوارهم مع أبيهم عند وصول القميص

الفصل الثاني: الحوارات في مصر

المبحث الأول: الحوار في بيت العزيز

المطلب الأول: حوار العزيز مع زوجته

المطلب الثاني: حوار امرأة العزيز مع يوسف

المطلب الثالث: حوار العزيز مع زوجته ويوسف

المطلب الرابع: حوار امرأة العزيز ونسوة المدينة

المبحث الثاني: حوار يوسف مع صاحبَي السجن

المبحث الثالث: حوار يوسف والملك

المبحث الرابع: حوار إخوة يوسف معه ومع والدهم

المطلب الأول: حوار يوسف مع إخوته وأخذ أخيه

المطلب الثاني: حوار إخوة يوسف وسؤالهم الميرة

المطلب الثالث: حوار يوسف مع والده عند دخول مصر

المبحث الخامس: مناجاة يوسف ربه

المطلب الأول: سؤال الله العصمة

المطلب الثاني: سؤال الله حسن الخاتمة

الخاتمة

النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

التمهيد

مدخل إلى السورة وتعريف أهم المصطلحات

أولاً: تعريف عام بالسورة:

أ – اسم السورة.

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان، وقد يكون لها أكثر من ذلك، وقد تسمى السورة بأول كلمة تبدأ فيها، مثل: " ألم" أو " ألر"، على القول بأن فواتح السور أسماء لها[1].

والاسم الوحيد لهذه السورة سورة (يوسف)، وقد عرفت تسميتها بذلك منذ عهد الرسول ﷺ وأصحابه، فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: "سَمِعْتُ عُمَرَ، يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِسُورَةِ (يُوسُفَ) قِرَاءَةً بَطِيئَةً" [2]، وعن عمرو بن ميمون، قال: "رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا، أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لاَ تُطِيقُ؟ قَالاَ: حَمَّلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ...

---

[1] يُنظر: الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1376هـ-1957م)، ج1، ص269، والسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ-1974م)، ج1، ص187، 199.

[2] أخرجه ابن أبي شيبة في **مصنفه**، كتاب الصلوات، باب ما يقرأ في صلاة الفجر، ج1، ص310، رقم الحديث (3548).

إلى أن قال: حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِم خَلَلًا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ (يُوسُفَ)، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ..."[1].

ب – وجه التسمية.

وجه تسميتها ظاهر لأنها ذكرت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته في غيرها. ولم يذكر اسمه في غيرها إلا في سورتي الأنعام وغافر. وفي هذا الاسم تمييز لها من بين السور المفتتحة بحروف الر[2].

ج – فضائل السورة.

اختصت قصة يوسف عليه السلام بأن سماها الله أحسن القصص، لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا، وكثير من فنون الخير والأمور التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي لا بد للمسلم أن يَعِيهَا[3]. وهذه الفضيلة المذكورة في القرآن نفسه عن السورة تكفي، ولم ترد في السنة أحاديث صحيحة في فضلها.

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة، والإتفاق على عثمان بن عفّان وفيه مقتل عمر، ج5، ص15، رقم الحديث (3700).

[2] يُنظر: ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن، **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ)، ج6، ص2097، وابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984هـ)، ج12، ص197، والدوسري: منيرة محمد ناصر، **أسماء سور القرآن وفضائلها**، تقديم: فهد بن عبد الرحمن الرومي، (الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ)، ص229–230.

[3] يُنظر: عباس: فضل حسن، **تفسير القرآن المجيد**، (الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 1438هـ–2017م)، ج2، ص1076، و نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إشراف: مصطفى مسلم، (جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 1431هـ–2010م)، ج3، ص503.

د – مرحلة نزول السورة.

نزلت سورة (يوسف) على رسول الله ﷺ بعد سورة هود في جو مكة الثقيل المظلم، وكانت تلك الفترة حرجة عصيبة من حياة الدعوة، وعلى الرسول ﷺ، حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين، وهي الفترة التي فقد النبي ﷺ نصيريه: زوجه الطاهرة الحنون خديجة، التي كانت أول من آمن معه، ونصره، وواساه، وعمه أبا طالب، الذي كان له خير نصير، وخير معين، ضد قريش كلها، فكان له عضداً وناصراً ، ودفع عنه كيد قريش وجميع محاولاتها التي كانت تعدّها لكي تبلغ منه ما تريد، فكان موت أبي طالب سبباً في تغير الموقف في مكة تغيراً كبيراً، حيث كانت له مكانة كبيرة في مكة خاصة وأنه كان على دينهم، ولهذا تجرأ الكفار على رسول الله ﷺ تجرُّؤاً غير مسبوق بعد وفاته[1].

ويشهد لذلك أنه "**لما مات أبو طالب، عرض لرسول الله ﷺ سفيه من قريش، فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته، فأتت بنته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: أيْ بُنَيَّة لا تبكين فإن الله مانعٌ أباك، ويقول ما بين ذلك: "ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب**"[2].

وفي تلك الفترة العصيبة من حياة الرسول الكريم، كان الله سبحانه ينزِّل عليه هذه السورة تسليةً له، وتخفيفاً لآلامه، بذكر قصص المرسلين، وكأن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن يا محمد، ولا تفجع لتكذيب قومك، وإيذائهم لك، فإن بعد الشدة فرجاً، وإن بعد الضيق مخرجاً، وهذا شأن من سبقك من الأنبياء والمرسلين، انظر إلى أخيك يوسف وتمعَّنْ فيما حدث له من صنوف

---

[1] يُنظر: الصابوني: محمد علي، **صفوة التفاسير**، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط4، 1402هـ-1981م)، ج2، ص39، والندوي: أبو الحسن علي الحسيني، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط7، 1420هـ-2000م)، ص79.

[2] الذهبي: شمس الدين محمد، **تاريخ الإسلام**، تحقيق: عمر عبد السلام، (د.م، دار الكتاب العربي، ط2، 1410هـ- 1990م)، ج2، ص235.

البلايا والمحن، وألوان الشدائد والنكبات، انظر إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيل العقيدة، نقله الله من السجن إلى القصر، وجعله عزيزاً في أرض مصر.. وهكذا سنة الله في أنبيائه وأوليائه، وهكذا ما كان مع من سبقك من المرسلين ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35][1].

هـ – أسباب نزول السورة.

روي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فنزلت السورة، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه سعد بن أبي وقاص، قال: "فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَاناً فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾" [يوسف: 3][2].

و – مكية السورة أو مدنيتها، ترتيبها في المصحف.

ذكر كثير من المفسرين أنها مكية، إلا ثلاث آيات من أولها، واستثنى بعضهم رابعة (1 و2 و3 و7) فمدنية، والقول الصحيح أن السورة جميعها مكية، وغير ذلك لا دليل عليه[3].

---

[1] ينظر: الصابوني: **صفوة التفاسير**، ج2، ص39–40.

[2] أخرجه البزار في **مسنده**، مسند سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ومما روى عمرو بن مرة، عن مصعب، عن أبيه، ج3، ص352، رقم الحديث (1153)، والسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص116. وللعلماء كلام حول صحة الرواية، ومنهم من يقول نزلت ابتداء بغير سبب.

[3] يُنظر: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1432هـ–2011م)، ج4، ص494، والآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج6، ص362، وقطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1423هـ–2003م)، ج4، ص1949، ومخلوف: حسنين محمد، **صفوة البيان لمعاني القرآن**، (دولة الإمارات العربية المتحدة: مطابع

أما ترتيبها في المصحف فهي السورة الثانية عشرة، وتقع في أواخر الجزء الثاني عشر وبداية الجزء الثالث عشر أيضاً[1]، **وأما ترتيبها في النزول، فكانت السورة الثالثة والخمسين، وكان نزولها بعد سورة هود، وعدد آياتها إحدى عشرة ومائة آية**[2].

وبالرغم من أنها سورة مكية، فقد تميزت عن غيرها من السور المكية بالأسلوب الهادئ، فتكاد تخلو السورة من الوعيد والتقريع [3].

ز – محور السورة.

سورة (يوسف) عليه السلام دافعت عن العقيدة، وأكدت قضية التوحيد، توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، من خلال تركيزها على وجوب أن تكون الحاكمية لله وحده وتثبيت الوحدانية الخالصة له.

وقد ضمنها الله سبحانه من النُّكَت والعِبَرِ والحَكَمِ أمراً عظيماً، وذكر فيها حسن مجاورة يوسف عليه السلام لإخوته، وصبره على أذاهم وحلمه عليهم، وإغضاءه عند لقائهم عن تبكيتهم وكرمه في العفو، وذكر فيها جانباً من سير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء

الشروق، د.ط، 1402هـ-1982م)، ص302، وطنطاوي: محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م)، ج7، ص299.

[1] يُنظر: أبو حيان: محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1420هـ)، ج6، ص231، ونوفل: أحمد، **سورة يوسف دراسة تحليلية**، (عمَّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط.1، 1409هـ- 1989م)، ص24.

[2] ينظر: طنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج7، ص299.

[3] يُنظر: الزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر، ط10، 1430هـ-2009م)، ج6، ص515-516.

ومكرهن، وركز فيها على قضية التوحيد، وهي من السور التي تتضمن دلائل النبوة والإعجاز والتعبير والسياسة والمعاشرة، وفيها جانب كبير من الفوائد التي تصلح للدين والدنيا[1].

ح – الوحدة الموضوعية للسورة.

الموضوع الأكبر للسورة هو قصة يوسف عليه السلام، ويتضمن ذلك إثبات صدق محمد ﷺ فيما أخبر به من القرآن الكريم، الموحى إليه من ربه، المعجز لأمته، وبين هذين الموضوعين عرضت السورة عدداً من التوجيهات والقيم التربوية، وكان لذلك الأثر الواضح في بناء الموضوع ووحدته[2].

ط – مقاصد السورة.

ذكرت السورة قوله تعالى في بدايتها: ﴿تِلكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ فكان مقصودها وصف الكتاب بالابانة لكل ما يوجب الهدى لما ثبت فيما مضى، وجاءت السورة بما يبين شمول علم الله تعالى وقدرته[3].

وفيها الحديث عن قصة نبي الله يوسف بن يعقوب وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء، ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين، في بيت عزيز مصر، وفي السجن، وفي تآمر النسوة، حتى نجَّاه الله من ذلك الضيق، ثم إيراد العبرة من هذه القصة، وإثبات نبوة محمد ﷺ

---

[1] يُنظر: البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت)، ج10، ص8، ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج3، ص505.

[2] يُنظر: الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، **تفسير الماتريدي**، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ-2005م)، ج1، ص234.

[3] يُنظر البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، قدّم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عبد السميع محمد أحمد حسنين، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ-1987م)، ج2، ص185.

وتسليته بما مرَّ عليه من الكرب والشدة، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد، وكل من صبر على البلاء فلا بد من أن يأتيه الفرج والنصر، وفيها تحذير المشركين من نزول العذاب بهم كما حدث لمن قبلهم، وفيها من الدروس والأخلاق، وأهمها نصر الرسل بعد الاستيئاس[1].

قال بعض العلماء: إن الله تعالى ذكر أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها، وبمعنى واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة، وعلى درجة واحدة في الإعجاز، ليقف العرب عاجزين عن معارضة ما تكرر، وما لم يتكرر[2].

ي – المناسبة بين اسم السورة ومحورها.

سيدنا يوسف عليه السلام رسول من رسل الله، الذين كانت دعوتهم إلى التوحيد الخالص، وبتتبع مراحل حياة الرسول الكريم يوسف عليه السلام بدءاً من الرؤيا، ومروراً بمكر إخوته به، وما تعرض له في مصر، ثم عودته لأبيه، وما خُتمت به السورة، يتضح لنا أن هناك دلالة واضحة على التوحيد، والارتباط الوثيق بين الاسم والمحور[3].

ك – مناسبة السورة لما قبلها.

نزلت هذه السورة بعد سورة هود، وهي مناسبة لها، فجاءت سورة هود في ذكر قصص عدد من الأنبياء، وفي ذلك إثبات الوحي المنزَّل على النبي ﷺ، وأنه ليس بدعاً من الرسل، وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من سورة في القرآن بأسلوب مختلف، إلا قصة يوسف عليه السلام، فلم

---

[1] يُنظر: الصابوني: **صفوة التفاسير**، ج2، ص39، والزحيلي: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج6، ص517.

[2] يُنظر: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ-1964م)، ج9، ص118.

[3] يُنظر: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج3، ص503.

تذكر في غير هذه السورة، وإنما ذكرت جميع فصولها بنحو متتابع شامل، وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن معجز في قصصه وأسلوبه، سواء في القصة الكاملة أو في فصل منها، وسواء في حالة الإجمال أو حالة التفصيل والبيان[1].

ل – المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها لافتتاحية وخاتمة ما قبلها.

من أوجه المناسبة ما ذكره السيوطي ﷺ بقوله عن سورَتَي هود ويوسف عليهما السلام، أنهما مفتتحتان بذكر القرآن ومختتمتان به.

ففي مفتتح سورة هود يقول سبحانه: ﴿الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ﴾ ﴿1﴾، ثم قال سبحانه في خواتيمها: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيكَ مِن أَنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجاءَكَ في هذِهِ الحَقُّ وَمَوعِظَةٌ وَذِكرى لِلمُؤمِنينَ﴾ ﴿120﴾، وفي مطلع سورة (يوسف) يقول تعالى: ﴿الر تِلكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ﴾ ﴿1﴾، وختمت السورة بقوله سبحانه: ﴿لَقَد كانَ في قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِأُولِي الأَلبابِ ما كانَ حَديثًا يُفتَرى وَلكِن تَصديقَ الَّذي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنونَ﴾ ﴿111﴾ [2].

---

[1] يُنظر: الزحيلي: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج6، ص516.

[2] يُنظر: السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، قرأه وتمه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، (الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ)، ص52-53.

ثانياً: مدلول الحوار وأهميته:

أ – مدلول الحوار.

الحوار لغة:

عرفه ابن منظور بقوله: "**والحوار هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، وأحار عليه جوابه: ردّه، والمحاورة: المجاوبة. والتحاور: التجاوب، وتقول: كلمته فما أحار إليّ جواباً. واستحاره أيْ استنطقه. والتحوير: التبييض. والحواريّون: أنصار الأنبياء**"[1].

وعن الأصفهاني: "المحاورة والحَوار المُرادَّة في الكلام، ومنه التحاور قال تعالى: (والله يسمع تحاوركما)، المجادلة:1، وكلمته فما رجع إلى حَوار، أو حَيٍ أو مَحْوَرَة، وما يعيش بأحْوَرَ، أي بعقل يحور إليه"[2]. وعند الفيروزآبادي: "**وهو بعيد الحور، أي: عاقل**"[3].

الحوار اصطلاحاً:

"**مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة**"[4].

والحوار في القصص القرآني له سمة خاصة، لا نجدها في حوارات القصص الأدبي، وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها هذا الحوار لشخصيات المتحاورين، فهي شخصيات حقيقية واقعية، لها

---

[1] ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ)، ج4، ص217-220.

[2] الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط1، 1412هـ)، ص262-263.

[3] الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ-2005م)، ج1، ص380.

[4] ابن منظور: **المرجع السابق**، ج4، ص218.

وجودها الذاتي، وأسلوبها في التعبير عن موقفها، ولها فكرها المستقل، ومنطقها الخاص، ولها منزعها وإرادتها في الموقف الذي تقفه في الحدث، وفي الأسلوب الذي تعبر به عن موقفها، فهي تعبر عن ذاتها بصورة ذاتية، دون أن نستشعر بأن ملقِّنا من ورائها يلقنها الكلمات التي تلقيها في المشهد، أو يحركها الحركة التي تؤديها فيه، وهذا أمر لا يمكن أن نجده بهذا الشكل في الأشخاص والحوارات في القصص الأدبية، ولكن نرى الأشخاص يتحدثون ويتحركون بما يضعه المؤلف على ألسنتهم من كلام، وما يشير إليهم به من حركة[1].

الدلالة لغة:

الدلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب. والدليل: الأمارة في الشيء[2].

الدلالة اصطلاحاً:

قال التهانوي: "بالفتح: هي على ما اصطلح عليه أهل الميزان والأصول والعربية والمناظرة، أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر... والشيء الأول يسمّى دالاً، والشيء الآخر يسمّى مدلولاً، والمراد بالشيئين: ما يعم اللفظ وغيره، فتتصور أربع صور، الأولى: كون كل من الدال والمدلول لفظا، كأسماء الأفعال الموضوعة لألفاظ الأفعال، والثانية:

---

[1] يُنظر: الخطيب: عبد الكريم، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف،** (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، 1395هـ- 1975م)، ص129.

[2] يُنظر: ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة،** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ- 1979م)، ج2، ص259-260، والأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن،** ص316-317، والسمين الحلبي: أبو العباس أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ،** تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1996م)، ج2، ص20.

كون الدال لفظا والمدلول غير لفظ، كزيد الدال على الشخص الإنساني، والثالثة: عكس الثانية، كالخطوط الدالة على الألفاظ، والرابعة: كون كل منهما غير لفظ، كالعقود الدالة على الأعداد"[1].

ودلالة الحوار: ما يدل عليه الحوار ويختص في هذا البحث عن البُعْدِ الإصلاحي.

لقد ذكر القرآن كثيراً من الحوارات، ومنها حوارات الأنبياء في تبليغ رسالتهم الإلهية إلى الناس، كما عرض محاورة الإنسان للأنبياء، والذي بدا في كثير من الأحيان عنيفاً يصور تمرده على رسالة ربه، وكان أنبياء الله تعالى يبذلون جهدهم في الدعوة للحق، وتبليغ الرسالة الإلهية، ويعرضون دعوتهم بالكلمة الطيبة، والأسلوب الهادئ، والحجج العقلية والحسية، ويخاطبون الفطرة في داخلهم.

وهكذا جاء الإسلام – من خلال القرآن الكريم–، ليكون دين الحوار، الذي يطلق للعقل العنان بحيث يفكر في كل شيء يمكنه التفكير فيه، وليحاور الآخرين على أساس الحجة والبرهان والدليل، وليعلّمهم كيف يصلون إلى إقناعه بالكلمة الجميلة والأسلوب الطيب والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

وهذا يعني أن الحوار يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشخصية المسلمة، لأنه يرتبط بتكوينها الداخلي، وتتم ممارسته على نحو يفتح قلوب الناس وعقولهم على دين الله وشريعته، ويربطهم في حياتهم بخط الالتزام بالرسالة في كل مواقفهم العملية – سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو عسكرية أو غير ذلك من آفاق العمل.

---

[1] التهانوي: محمد علي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1996م)، ج1، ص787.

لقد وردت مادة الحوار في القرآن في ثلاث آيات، جاءت اثنتان منها في سورة الكهف، في معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه، الذي لا يملك كثيراً من المال وغيره، وقد استعمل القرآن الكريم مادة الحوار في موضعين منها: قوله تعالى: ﴿فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنا أَكثَرُ مِنكَ مالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: 34]، وقوله: ﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرتَ بِالَّذي خَلَقَكَ مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: 37].

أما الآية الثالثة التي وردت فيها هذه المادة، فقد جاءت في سورة المجادلة في قصة المرأة التي أتت إلى النبي ﷺ شاكية زوجها إلى الله، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1][1].

فالحوار هو التفاعل بين الطرف الأول والطرف الثاني، فالأول يطرح سؤالاً أو يبدي رأياً، فيرد عليه الثاني، فيناقشه ويطرح رأيه، وهكذا يقترب الحوار من معنى الحجاج، إن هذا التفاعل يجعل معنى الحجاج يقترب من الحوار، لأنه يشتمل على حرية الرأي للطرف الآخر، فالمتلقي أو الطرف الثاني في العملية الحوارية لديه الحق في الرفض أو الاعتراض على خطاب الطرف الأول، وهذه نقطة التقاء الحجاج والحوار، والحجة تأتي بمعنى "القصد"، وأيضا: "يمكن أن تكون الحُجَّة مشتقّةً من هذا المعنى؛ لأنّها تُقْصَد، أو بها يُقْصَد الحقُّ المطلوب. يقال: حاججت فلانًا فحجَجْته، أيْ: غلبتُه بالحُجّة"، وبذلك يتضح أن الحوار هو الحجاج من أحد وجوهه، دون ضغط من أحد الطرفين على الآخر للإذعان[2].

---

[1] يُنظر: فضل الله: محمد حسين، **الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته**، (بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، 1417هـ- 1996م)، 6-8، 13-14، 50.

[2] يُنظر: الجوهري: أبو نصر إسماعيل، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: محمد محمد تامر، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1430هـ-2009م)، ج1، ص225، ودحمان: حياة، **تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة**

وهناك فرق بين الحوار والجدال، فالأول مراجعة الكلام وتبادله بين المتحاورين وصولاً إلى غاية مستنداً إلى أنه يجري بين صاحبين، أو اثنين ليس بينهما صراع ونزاع، ومنه قوله تعالى: ﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرتَ بِالَّذي خَلَقَكَ مِن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلًا﴾ [سورة الكهف: 37]، وأما الجدال فأكثر وروده في القرآن بالمعنى المذموم كقوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: 5] [1].

"**ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي**"[2].

ب – أهمية الحوار.

للحوار أهمية بالغة في المجتمعات، وهو من طرق الوصول إلى الحق والصواب، ولذا فإن له أهمية كبيرة في حياة المسلم، فهو وسيلته المقدمة على غيرها لنشر دعوته بالكلمة الطيبة، والمعنى المفيد لبيان الحق ومحاسنه.

وقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بأروع الأمثلة في الحوار البنّاء للوصول إلى الحقيقة، وفي المجادلة بالتي هي أحسن، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته إلى

(يوسف) أنموذجاً، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغة، قسم اللغة العربية وآدابها، (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: جامعة الحاج لخضر – باتنة–، 1434هـ – 2013م)، ص26–27.

[1] يُنظر: حسين: عبد العال حسين محمد، المجلة العلمية، **مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم**، (المملكة العربية السعودية: جامعة الملك فيصل، 1439هـ–2018م)، ج19، ص75، http://search.mandumah.com/record/932041

[2] آل نواب: عبد الرب نواب الدين، **وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار**، (المملكة العربية السعودية: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ط، د.ت)، ص20. وينظر عبد اللطيف، محمد، منهجية الحوار في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية، ع 35، 2008، ص:183–185.

ربه حيث قال له في محكم التنزيل: ﴿ادعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلهُم بِالَّتي هِيَ أَحسَنُ﴾ [النحل: 125].

وتبرز أهمية الحوار من جانبين:

الجانب الأول: الدعوة إلى الإسلام والحق، ولذا تُعقد المحاورات بين المسلمين وغيرهم، سواء من الفرق المنحرفة، أو من غير المنتسبين للإسلام، والقرآن الكريم حافل بنماذج من مثل هذه الحوارات التي جرت بين أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم، حتى إن قوم نوح قالوا له: ﴿قالوا يا نوحُ قَد جادَلتَنا فَأَكثَرتَ جِدالَنا فَأتِنا بِما تَعِدُنا إِن كُنتَ مِنَ الصّادِقينَ﴾ [هود: 32]. فقد أكثر جدالهم حتى تبرموا من كثرة هذا الجدال، وهذا لأنه ﷺ بذل جهده في النصح والتوجيه لما فيه الخير والفلاح[1].

الجانب الثاني: فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية، التي ليس فيها نص صريح أو إجماع، فالحوار يُعد وسيلة الوصول إلى اليقين والحق، في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين، فيتحاور اثنان للوصول إلى الحق، ويطرح كلٌ منهما حججه وأدلته[2].

---

[1] يُنظر: حسين: عبد العال حسين محمد، المجلة العلمية، **مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم**، كلية البنات بأسيوط، جامعة الأزهر، ج19، ص 76-77، http://search.mandumah.com/record/932041

[2] يُنظر: الشتري: سعد بن ناصر، **أدب الحوار**، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن آل الشيخ، (الرياض: دار الكنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ-2006م)، ص18-20.

ثالثاً: مفهوم البعد الإصلاحي

البعد لغة:

"بَعْد يقال في مقابلة قبل"[1].

البعد اصطلاحاً:

"بَعْد هو فصل الخطاب"[2].

الإصلاح لغة:

"صلَح الشيءُ ونحوه: زال عنه الفساد، ضدّ فسَد. صلُح الشخصُ: فضُل وعفّ. أصلح بين الناس: أزال ما بينهم من عداوة وشقاق. وأصلح الشخص من أمره: حسَّنه، ورجع عن الخطأ. واستصلح الرجل: وجده أو عدَّه صالحاً. واصطلح الناس: زال ما بينهم من خلاف.

وإصلاحية: مصدر صناعي من إصلاح: ما يدل على سلوك وخُلُق قويم[3]، والإصلاح: نَقيض الإفساد"[4].

الإصلاح اصطلاحاً:

هو رفع النزاع وإزالة الفساد[5].

---

[1] الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص133.

[2] الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج1، ص102.

[3] مختار: أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1429هـ-2008م)، ج1، ص1311-1313.

[4] الجوهري: **المرجع السابق**، ج1، ص653.

[5] يُنظر: التهانوي: **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، ج1، ص1095.

البعد الإصلاحي:

وعليه فالبعد الإصلاحي: هو أن يكون الإصلاح هو الغاية المقصودة من الحوار مع الطرف الثاني.

يقول الدكتور نوفل: "إن أول ما ينبغي لمن قرأ هذه السورة (يوسف) أو استمع لها أن يعرف وجوه العبر والمواعظ التي نزلت لأجلها، ويتعلم الحكم التي وردت فيها، والغاية التي أراد الله من سرد مواضيعها، وأن القارئ إن لم يفعل ذلك، لم يدر ما أريد بتلك المعاني، وينبغي أن لا تكون غاية القارئ معرفة معاني الألفاظ فقط، ولا الوقوف على السيرة كقصة تاريخية فحسب، إن هناك ما هو أهم، وذلك ما تضمنته هذه السورة من الأمثال وعجائب التدبير الإلهي والمسائل الاجتماعية"[1].

لقد بينت أحداث القصة أن قدرة الله تعالى وحكمته حاضرة في كل شيء، ودالة على صدق الرسول يوسف، وعلى ما أظهر الله في القصة من عواقب البغي عليه، وصدق رؤياه، وصحة تأويله، وفيها الدلالة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ، لأنه لم يقرأ كتاباً، فلم يأته ذلك إلا من جهة الوحي، فهو بصيرة للذين سألوه أن يخبرهم بذلك، ومعجزة دالة على صدقه، "فقل لمن جهل سيرة محمد ﷺ وتاريخه: إن محمداً لم يكن قارئاً ولا كاتباً، ولا خطيباً، ولا شاعراً، ولا مؤرخاً، ولا راوياً، ولا حافظاً للشعر، ولا ناثراً، بل كان كما قال الله تعالى – غافلاً عن هذه القصة، وكل ما جاء في القرآن"[2] أي أنه لم يكن يعرفها من قبل، فعرّفه الله بها، وحيا من عنده سبحانه.

---

[1] نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص286–287.

[2] رضا: محمد رشيد، **تفسير المنار**، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م)، ج12، ص213. ويُنظر: أبو حيان: **البحر المحيط في التفسير**، ج6، ص240، والطبرسي: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، (بيروت: دار المرتضى، ط1، 1427هـ–2006م)، ج5، ص282.

وهذا كله يدعونا للتدبر في هذه السورة المباركة، والتأمل فيما ورد فيها من أحداث وحوارات، تزرع في القلوب حقيقة التوحيد، وتؤكد أهميته في حياة المسلم، ودوره في الثبات في الأزمات، وما تأتي به الأيام من الشدة والملمات.

الفصل الأول: الحوارات في فلسطين

المبحث الأول: الحوار في مرحلة طفولة يوسف

المطلب الأول: حوار يوسف مع والده عليهما السلام

عرضت السورة شخصية يوسف عليه السلام، وبيان أصله الكريم، فقد رعاه والده يعقوب عليه السلام وأحسن تربيته على ملة أجداده وعلى ما كانوا عليه من التوحيد الخالص[1]. كما عرضت القصة شخصية يوسف عليه السلام في جميع مجالات حياته، وكل ما تعرض له من ابتلاءات متنوعة؛ كابتلاءات الشدة وابتلاءات الرخاء، وابتلاءات الفتنة بالشهوة والفتنة بالسلطان، وابتلاءات الفتنة بالانفعالات والمشاعر البشرية تجاه شتى المواقف وشتى الشخصيات، ليخرج منها عليه السلام خالصاً متجرداً لله متجهاً إليه، يسأله أن يحسن خاتمته ويجعله من الصالحين[2].

وقد ذكره الله تعالى في مجموعة الرسل الكرام الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وأثنى عليه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السّوءَ وَالفَحشاءَ إِنَّهُ مِن عِبادِنَا المُخلَصين﴾ [سورة يوسف: 24]، ووصفه الله تعالى بالعفة، والنزاهة، والصبر، والاستقامة، والصدِّيقيَّة، ولهذا يسمى "يوسف الصِّدِّيق"، وكان مثالاً للعفة والصبر والتسامح والعفو[3].

---

[1] يُنظر: الهاشمي: عبد الحميد محمد، **لمحات نفسية في القرآن الكريم**، (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، 1402هـ-1981م)، ص188.

[2] يُنظر: قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص1951-1952.

[3] يُنظر: الصابوني: محمد علي، **النبوة والأنبياء**، (دمشق: مكتبة الغزالي، ط3، 1405هـ- 1975م)، ص261.

كما أثنى عليه رسولنا ﷺ بقوله: "الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْن الكَرِيمِ، ابْن الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْن إِسْحَاقَ بْن إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ"[1].

وتبدأ السورة بالرؤيا التي رآها يوسف أيام صباه في منامه، فيقصها على أبيه الذي كان أقرب شخص له في طفولته، والذي يمثل الثبات القوي على المبدأ، والإيمان الصحيح الراسخ العميق، والثقة بالله والتوكل عليه، مهما تعرض له من لحظات شديدة صعبة، وهو الأب الحنون، المحب لابنه، المشفق عليه[2]، الأب الشفيق الحذر والنبي المطمئن الموصول، وهو يواجه بالاستبشار والخوف معاً تلك الرؤيا الواعدة التي رآها يوسف، وهو يرى فيها بشائر مستقبل مرموق، بينما هو يتوجس خيفة من الشيطان وفعله في نفوس بنيه، فتتجلى شخصيته بواقعيتها الكاملة في كل جوانبها، شخصية المترقب دوماً لرحمة الله، والمتفائل ثقة بالله، بانتصار الحق على الباطل، المتطلع للفرج من وراء حجب الغيب في أشد الأزمات قال تعالى: ﴿إِذ قالَ يوسُفُ لِأَبيهِ يا أَبَتِ إِنّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لي ساجِدينَ ﴿٤﴾ قالَ يا بُنَيَّ لا تَقصُص رُؤياكَ عَلى إِخوَتِكَ فَيَكيدوا لَكَ كَيدًا إِنَّ الشَّيطانَ لِلإِنسانِ عَدُوٌّ مُبينٌ﴾ ﴿٥﴾ [يوسف: 4-5][3].

تكررت كلمة "رأيت" في الآية لإيضاح الأمر، فقد رآهم أولاً بصفاتهم التي ترى بها الشمس والقمر والنجوم بدون سجود، ثم رآهم وهم ساجدون له بملامح الخضوع لأمر من الله، متمثلة في

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَد كانَ في يوسُفَ وَإِخوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلينَ﴾، ج4، ص151، رقم الحديث (3390)، والترمذي في **سننه**، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة (يوسف)، ج5، ص293، رقم الحديث (3116).

[2] يُنظر: نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص163.

[3] يُنظر: قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، 1957-1958، والمبارك: محمد، **دراسة أدبية لنصوص من القرآن**، (بيروت: دار الفكر، ط5، 1419هـ- 1998م)، ص87.

صورة العقلاء الذين يحنون رؤوسهم بالسجود تعظيماً، وكان له أحد عشر نفراً من الإخوة، ففسر الكواكب بالإخوة، والشمس والقمر بالأب والأم.

وأدرك يعقوب عليه السلام بنور بصيرته أن هذه الرؤيا تعطي شأناً عظيماً لهذا الغلام، وبحكم جو النبوة، وما يعلمه من أن جده إبراهيم مبارك من الله هو وأهل بيته المؤمنون، فوقع في قلبه أن يكون يوسف عليه السلام هو الذي يُختار من أبنائه من نسل إبراهيم لتحل عليه البركة، وتتمثل فيه السلسلة المباركة، ولذا نصحه بألا يقص رؤياه على إخوته، خشية أن يجد الشيطان سبيلاً إلى قلوبهم، فتمتلئ نفوسهم بالحقد والحسد عليه.

ويلاحظ أن الحوار بين الولد وأبيه، يحمل طابع الاحترام والمودة، فيوسف ينادي أباه "يا أبت"، فيرد عليه الأب: "يا بني" وهو خطاب تحنين ويدل على القرب من القلب، و"بني" تصغير "ابن". وقول يعقوب ليوسف "يا بني" يُفهم منه أن يوسف عليه السلام ما زال صغيراً، فيعقوب هو الأصل، ويوسف هو الفرع، والأصل دائماً يمتلئ بالحنان على الفرع.

وحين يفزع يوسف مما يُزعِجه أو يُسيء إليه، أو أي أمر يصعب عليه، فإنه يلجأ إلى من يحبه وهو الأب، لأن الأب هو الأقدر في نظر الابن على مواجهة شدائد الأمور، وعلى مساندة ولده في الملمات[1].

---

[1] يُنظر: الرازي: محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401هـ-1981م)، ج18، ص88، 91، والثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ-2002م)، ج5، ص198، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص1971، والشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (د.م، أخبار اليوم، د.ط، 1411هـ-1971م)، ص6847-6848، 6850.

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور، من أهمها ما يأتي:

1. إفراغ المرء ما في صدره إلى من يثق فيه، ويأمنه على حاله، فليس كل قريب أو صديق مؤهلاً لأن يُستودع السر والأمانة، وهذا يُدرك بنور البصيرة والفهم.
2. أدب الحوار مع الغير –حتى لو كانوا أقل شأناً–، من الأهمية بمكان لقبول القول والرأي الآخر.
3. من فتح لك قلبه وأعطاك سره، وجب عليك أن تخلص له النصح، على نور من الهدى الرباني والشرع الإسلامي، وإلا فهي الخيانة.
4. مشروعية كتمان الحقائق، إن خشي شيئاً من الأذى عند إظهارها.
5. الأب هو الحضن الدافئ، والمستقر الآمن، الذي يمثل كل أنواع الحب والتضحية والحنان.
6. الأب قدوة لأبنائه، فما تراه أعينهم منه تستحسنه، وترغب فيه، وهذا يبعث الأب ويدفعه، أن يراقب تصرفاته وأقواله في كل أحواله.
7. أهمية إدراك حقائق النفوس وتقلبها، وإمكانية وجود الشر فيها، وتحفيز منابع الخير وإغلاق منابع الشر.
8. رغم أن ما قصه يوسف عليه السلام هو من إرهاصات النبوة، إلا أن على الوالد إدراك ما عند أولاده من ميول واهتمامات إيجابية لتعزيزها ودعمها.

المطلب الثاني: حوار إخوة يوسف عليهم السلام مع بعضهم للتخلص منه

قوله تعالى: ﴿لَقَد كانَ في يوسُفَ وَإِخوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلينَ ﴿٧﴾ إِذ قالوا لَيوسُفُ وَأَخوهُ أَحَبُّ إِلى أَبينا مِنّا وَنَحنُ عُصبَةٌ إِنَّ أَبانا لَفي ضَلالٍ مُبينٍ ﴿٨﴾اقتُلوا يوسُفَ أَوِ اطرَحوهُ أَرضًا يَخلُ لَكُم وَجهُ أَبيكُم وَتَكونوا مِن بَعدِهِ قَومًا صالِحينَ ﴿٩﴾ قالَ قائِلٌ مِنهُم لا تَقتُلوا يوسُفَ وَأَلقوهُ في غَيابَتِ الجُبِّ يَلتَقِطهُ بَعضُ السَّيّارَةِ إِن كُنتُم فاعِلينَ﴾ ﴿١٠﴾ [يوسف: 7-10].

يُلاحظ أن السورة الكريمة تتعامل مع إخوة يوسف عليه السلام من أول القصة إلى آخرها على أساس أنهم وحدة واحدة، وشخصية واحدة، ولذلك لم تبرز منهم اسماً ولا شخصاً، بل إن النص الكريم كان يثبت لهم دائماً موقفاً جماعياً في الحوار والمكر والرواح والدخول، وبهذا صاروا كأنهم شخص واحد[1].

إن غيرة إخوة يوسف جعلتهم يرتبون مؤامرة ضده، فما أن حسدوا يوسف على تقديم أبيهم له، حتى بسطوا لسانهم في أبيهم فوصفوه بلفظ الضلال، وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين، إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً، وإنما مرادهم ذهابه عن طريق الحق والصواب في ذلك لتفضيل أبيهم المفضول بزعمهم، وغاب عنهم أنه كان يحب يوسف وبنيامين[2] لكونه شقيقه وأصغرهم. وليس معناه أن يعقوب عليه السلام لم يعدل، فهو نبي معصوم، وإنما سوء ظن من الأولاد لعنايته وشفقته

---

[1] يُنظر: نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص171.

[2] تحديد أسماء المبهمات في القرآن ينبغي أن يكون من القرآن نفسه أو من السنة الصحيحة، وإلا فالروايات إسرائيلية لسنا مضطرين لأخذها، وهناك حديث أخرجه الطبراني في الأوسط: 6:170، والحاكم في مستدركه: 2:378، والإسناد حسن.

بالصغير، ويحتمل أن يعقوب إنما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لأن أمه ماتت[1] وهو صغير ولأنه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر إخوته.

ويُلاحظ أن قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف بعضهم لبعض: ﴿اقتُلوا يوسُفَ أَوِ اطرَحوهُ أَرضًا يَخلُ لَكُم وَجهُ أَبيكُم﴾ فيه دليل على أن الغيرة قد تدفع صحابها للضرر، وقد تصل إلى القتل.

لقد قال إخوة يوسف فيما بينهم، لا بد من إبعاد يوسف عن أبيه، وذلك إما بقتله أو التغريب إلى أرض يفترسه فيها الذئب أو يموت في تلك الأرض البعيدة، ثم ذكروا العلة في ذلك وهي قوله: ﴿يَخلُ لَكُم وَجهُ أَبيكُم﴾ والمعنى أنه قد شغله حب يوسف عنهم، فإذا فعلوا ذلك بيوسف، أقبل يعقوب بوجهه عليهم، وصرف محبته إليهم، ويكونون من بعده، يعني من بعد قتل يوسف أو إبعاده عن أبيه قوماً صالحين، يعني: تائبين، وذلك أنهم لما علموا أن الذي عزموا عليه من الذنوب والكبائر قالوا: نتوب إلى الله من هذا الفعل، ونكون من الصالحين في المستقبل، وفيه دليل أن تبييت التوبة قبل الذنب خطأ محض فقد يأتيهم الموت قبل التوبة[2].

وقد قال صاحب الظلال مصوراً شخصيات هؤلاء الإخوة ونفسيتهم:

---

[1] ربما نستدل على موتها من القرآن نفسه، حيث مدلول قوله تعالى: "ورفع أبويه على العرش" ولم يقل (والديه)، فهما أبوه وربما زوجة ابيه.

[2] يُنظر: القشيري: ابن عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت)، ج2، ص170، والقاسمي: محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ)، ج6، ص154، والخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج2، ص514، والشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1415هـ-1995م)، ج2، ص203، والقرش: جمال بن إبراهيم، **قصة يوسف** عليه السلام، (القاهرة: مكتبة طالب العلم، ط1، 1432هـ- 2011م)، ص12.

"إن الأحقاد الصغيرة في قلوبهم تكبر وتتضخم، حتى تخفف عن ضمائرهم هول الجريمة وبشاعتها ونكارتها وضخامتها، ثم تزين لهم "الحيل الشرعية" التي يخرجون به من تلك الجريمة، ملاحظاً في هذا واقعيتهم في بيئتهم الدينية – وهم أولاد نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم –عليهم صلوات الله وسلامه– وانطباعات هذه البيئة في تفكيرهم ومشاعرهم وتقاليدهم، وحاجتهم النفسية من ثم إلى مبرر الجريمة، وإلى طريقة للتحلل من نكارتها وبشاعتها"[1].

وهكذا يبدأ الأمر صغيراً ثم يكبر، فقد كان اهتمام يعقوب عليه السلام بابنه الصغير الذي لمس فيه أمارات ومبشرات أن يكمل الله عليه نعمة النبوة، كما أتمها على أبويه من قبل، فضلاً عن فقدانه لأمه، كل هذا جعله محط اهتمامه، فغلب الحسد على قلوبهم، ولم يجدوا بُداً إلا أن يتخلصوا من يوسف عليه السلام ، ومع ذلك فقد كانوا في تردد من شأن القتل.

وقد ذكر الله تعالى أن أحدهم قال: ﴿لا تَقتُلوا يوسُفَ﴾ لأنه كان يعرف أن القتل كبيرة عظيمة، ولهذا اقترح عليهم أن يطرحوه في أسفل الجب إن كانوا لا بد فاعلين للشر، بحيث يأخذه بعض من يمر عليه من المسافرين، وبذلك يخفى عن إخوته الإثم الكبير وهو القتل، وهكذا تأتي المحنة الأولى من محن الشدة في حياة يوسف، وهي محنة الجب والخوف والترويع فيه[2].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص1952–1953.

[2] يُنظر: السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**، تحقيق: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ– 1993م)، ج2، ص152، والبغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ)، ط1، ج2، ص478، ورضا: **تفسير المنار**، ج12، ص261، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص1950، والقرش: **قصة يوسف** عليه السلام، ص12.

وأفعال إخوة يوسف عليه السلام تدل على أنهم ما كانوا أنبياء، لا أولاً ولا آخراً، لأن الأنبياء لا يقدمون على قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتكبوا معصية ثم تابوا، ومما يرد قول من قال إنهم أنبياء: أن الأنبياء معصومون من الكبائر، وقيل ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء، ثم نبأهم الله[1].

والقول بنبوتهم بعد توبتهم وجيه، لأن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية، فما جرى منهم في أول أمرهم، مما هو أكبر أسباب النقص واللوم، ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، وطلب العفو من أبيهم، ويوسف، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، ومما يدل على ذلك أنهم في رؤيا يوسف كانوا كواكب نيرة، والكواكب فيها النور والهداية، وهذه من صفات الأنبياء، ويمكن القول: إنهم لم يكونوا أنبياء فهم علماء ومنارات علم[2].

وللدكتور فتح الله بدران في وصف شخصية إخوة يوسف قول آخر جدير بالتسجيل وإن كنت لا أوافقه عليه، حيث يقول: "**إن بني إسرائيل الأول هم أبناء يعقوب (إسرائيل) مباشرة، وكانوا اثني عشر ذكراً، منهم واحد يمثل المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو يوسف الصديق، ومنهم أخو يوسف الشقيق يمثل طبقة المسلمين الطيبين.. ثم الكبار العشرة، وهم يمثلون الكفرة، لأنهم العصبة القذرة، الذين دبروا لأخيهم الصغير يوسف الصديق: جرائم التعذيب، والقتل، والكيد، ودبروا في الوقت ذاته جرائم الفجيعة والقطيعة لأبيهم الشيخ الكبير يعقوب عليه السلام.**

---

[1] يُنظر: الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، **دَرْج الدرر في تفسير الآي والسور**، تحقيق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، تحقيق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، (عمَّان: دار الفكر، ط1، 1430هـ-2009م)، ج2، ص121، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص133.

[2] يُنظر: السعدي: عبد الرحمن ناصر، **مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي**، إشراف ومتابعة: محمد بن عبد الرحمن السعدي وآخرون، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1432هـ-2011م)، ج2، ص503.

وما أعجز القرآن وأروعه، وما أيسره وأبدعه وهو يقص التاريخ الأخلاقي الذليل للكبار من بني إسرائيل.

والقرآن واضح كل الوضوح في وصف بني إسرائيل، منها:

- **حقدهم القاتل للمحبة حتى بين الأب وابنه.**
- **اعتزاز بالقوة الشريرة المدبرة. ويلزم من هذا أنهم لا يخضعون أبداً إلا للقوة.**
- **السب الفاضح حتى لأبيهم، وتأكيدهم أنه في ضلال مبين، وهذه أخزى مخزيات الدنيا، ويضاف إلى هذا التناقض الشنيع في جمعهم بين وصفه بالأبوة لهم، والضلال في وقت واحد.**
- **الفجور في تآمر عشرة كبار على قتل طفل بريء وهو أخوهم.**
- **حياكة المؤامرات الشريرة.**
- **تفاهة تفكيرهم، وبلاهة مقصدهم، وانحراف غرضهم.**
- **ترتيب الصلاح على قتل طفل.**
- **ليس فيهم رجل فيه رائحة الإنسانية.**
- **الكذب على أنفسهم وسرعتهم في تأكيد العهود بأغلظ المواثيق.**
- **مجرمون يمثلون أبشع الخسة والنذالة والذلة.**
- **بلاهتهم وصغارهم حتى في التمثيل.**
- **خداعهم لأبيهم.**
- **توالي كذبهم.**
- **تفننهم في الإجرام والكذب... إلخ.**

وكل مؤمن أو عاقل في أنحاء الدنيا متأكد تماماً أن كل هذه الصفات الدنيا، التي جرت في دماء العشرة الكبار من بني إسرائيل، وهي هي، بل أشنع منها وأفحش: تلك التي تجري إلى الآن، وإلى قيام الساعة في دمائهم، تنطق بذلك أفعالهم، ويؤكد ذلك سلوكهم، وتبرهن على ذلك دائماً تصرفاتهم"[1].

وقد أظهرت لنا الآيات القرآنية، من بداية السورة إلى نهايتها، أيْ: من المؤامرة التي دبروها للتخلص من يوسف عليه السلام، صورة نفسية واضحة لهم حيث تابوا إلى الله، وطلبوا العفو من يوسف عليه السلام، ومن والدهم يعقوب عليه السلام، "**ومن خلق المعتذر الصادق أن يطلب التوبة من الله، ويعترف على نفسه، ويطلب الصفح ممن تضرر منه**[2]"، وهذا عزيز إلا من صدق في التوبة، فالاعتراف بالذنب فضيلة، وهو من خصال أهل الإيمان كما قال رب العزة في سورة آل عمران: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾، وكما قبل تعالى توبة آدم عليه السلام مع اعترافه بالذنب، واجتباه، كما قال في سورة طه: ﴿ثُمَّ اجتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيهِ وَهَدى ﴿١٢٢﴾، وهم مع ذلك سجدوا لأخيهم سجدة احترام وتقدير، كما ستأتي به الآيات.

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور، من أهمها ما يأتي:

1. التحذير من مخالطة ومشاركة القوم الخاطئين في أخطائهم، فمن شاركهم في المجلس ولم ينكر عليهم فهو على شاكلتهم.

---

[1] بدران: محمد بن فتح الله، **الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن**، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1388هـ- 1968م)، ص526، 531-538، 545.

[2] نخبة من علماء التفسير، بإشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (الرياض، ط3، 1436هـ)، ص246.

2. بيان خطورة الحسد والغيرة المذمومة على الشخص والمجتمع.
3. البيئة الصالحة من مظان النبت الطيب، ولكن الأهواء والنزغات الشيطانية قد تُفسد ذلك.
4. العدل بين الأولاد من أولويات التربية، لما لها من أثر التوافق والمودة بينهم. [1]
5. قد يحمل الحسد على تشويش الرؤية الواضحة، فإن عناية يعقوب عليه السلام بابنه يوسف وشفقته عليه لصغر سنه، وفقده لأمه، وما توسم فيه والده من بشارات النبوة، وكل ذلك هيأ بيئة خصبة في نفوس إخوته، واتخذوه مدخلاً للتخلص من يوسف عليه السلام.
6. قد يتزين الباطل بصورة الحق، حيث زعم إخوة يوسف عليه السلام أن رغبتهم في الخلاص منه رغبة منهم أن يتفرغ لهم والدهم، ثم يكونوا بعد ذلك صالحين.
7. التحذير من أي مظهر من مظاهر المحاباة من الوالدين أو أحدهما تجاه أحد الأولاد، مما يفسد العلاقات الأسرية والمجتمعية، وربما يغذي مظاهر الغيرة التي قد تتطور إلى شر مستطير.

---

[1] لا بد من الإشارة هنا إلى ن العدل المطلوب الذي هو ممكن وفق طاقة الإنسان، ويحاسب عليه، هو العدل المادي، أما الأمور القلبية من الميل فغير محاسب عليها، وهذا الذي عناه الله تعالى بقوله في حق النساء: "ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم".

المطلب الثالث: حوار إخوة يوسف مع والدهم عليه السلام بشأن أخذ يوسف معهم

بعد أن وافق إخوة يوسف على ما عرضه عليهم أحدهم بإلقاء يوسف في غيابت الجب، أخذوا في أسباب تنفيذه، وقد احتال الإخوة على أبيهم في أخذ يوسف معهم، حتى يلعب ويمرح، يخادعون أباهم، ويمكرون به وبيوسف، قال تعالى: ﴿قالوا يا أَبانا ما لَكَ لا تَأمَنّا عَلى يوسُفَ وَإِنّا لَهُ لَناصِحونَ ﴿١١﴾ أَرسِلهُ مَعَنا غَدًا يَرتَع وَيَلعَب وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ ﴿١٢﴾ قالَ إِنّي لَيَحزُنُني أَن تَذهَبوا بِهِ وَأَخافُ أَن يَأكُلَهُ الذِّئبُ وَأَنتُم عَنهُ غافِلونَ ﴿١٣﴾ قالوا لَئِن أَكَلَهُ الذِّئبُ وَنَحنُ عُصبَةٌ إِنّا إِذًا لَخاسِرونَ﴾ ﴿١٤﴾ [يوسف: 11-14].

وقد بدأوا كلامهم باستفهام إنكاري يدل على أنه كان بينهم وبين أبيهم مواقف من قبل، ولذا كانوا يتوقعون ردة فعله في عدم الموافقة، ولكنهم سعوا جاهدين لتنفيذ ما سعوا إلى تدبيره، وكان أبوهم في كل مرة يشك فيهم ويخاف على يوسف، من أن يصيبه سوء من كيدهم وحسدهم، فلم يوافق على ما طلبوه، فقالوا هذه العبارة متعجبين من رفضه لطلبهم: ﴿ما لَكَ لا تَأمَنّا عَلى يوسُفَ وَإِنّا لَهُ لَناصِحون﴾، فأظهروا تعجبهم من تردده في أخذه معهم، وهم إخوة، وهو والدهم، وأنهم يريدون الخير له ويشفقون عليه، ويؤكدون ذلك بما تضمنته جملة: ﴿إِنّا لَهُ لَناصِحونَ﴾ من المؤكدات المختلفة، ولم يتركوا أباهم يفكر فيما عرضوه عليه، وأشفقوا من أن لا يجيبهم إلى ما طلبوه، فلاحقوه بما يسد عليه باب الرفض بالطلب المباشر لعدم ائتمانهم على أخيهم: ﴿أَرسِلهُ مَعَنا غَدًا يَرتَع وَيَلعَب وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ﴾، وذكروا الرتع أي وسعة من الطعام، واللعب، لأن كلاهما مما يحبه الأب لأطفاله، ويحبه الأطفال لأنفسهم، وأكدوا أنهم جميعاً له حافظون[1].

---

[1] يُنظر: الخطيب: عبد الكريم، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف**، ص129، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج12، ص227-228، ومجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث

فقال أبوهم: ﴿إِنّي لَيَحزُنُني أَن تَذهَبوا بِهِ﴾ أي يحزنني ذهابكم به، لأنه يُفارقُني فلا أراه، لأنه كان لا يصبر عنه ساعة، ﴿وَأَخافُ أَن يَأكُلَهُ الذِّئبُ وَأَنتُم عَنهُ غافِلونَ﴾ ذكر شيئين: الحزن لذهابهم، والخوف عليه أن يجده الذئب وحده وقت غفلتهم عنه برعيهم ولعبهم، فيأكله[1].

فردّوا على أبيهم لإقناعه في ذهاب أخيهم معهم، فقالوا: ﴿لَئِن أَكَلَهُ الذِّئبُ وَنَحنُ عُصبَةٌ إِنّا إِذًا لَخاسِرونَ﴾، أي والله إن الذئب لو أكله ونحن جماعة قوية، وفينا شجاعة، فإنه لا خير ولا منفعة ولا رجولة فينا، وهذا لا يكون أبداً[2].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. التحذير من الغرور بالادعاءات المزخرفة التي تتزين بلباس الحق.
2. يزداد الحرص من الطرف الآخر إذا بدت منه إساءة سابقة، ولهذا ينبغي أن يراجع الإنسان مواقفه مع الناس ويعاتب نفسه عليها قبل أن يعاتبهم على مواقفهم منه.
3. من عادة أهل السوء والمكر والخديعة أن يزخرفوا الأقوال، لتجد قبولاً عند الناس، وهذا مصداق قوله تعالى في سورة المنافقون في وصفهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾.

الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، 1393هـ-1973م - 1414هـ-1993م)، ج4، ص289.

[1] يُنظر: الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، **التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم**، (عمَّان: دار الكتاب الثقافي، ط1، 2008م)، ج3، ص470، والنسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ- 1998م)، ج2، ص98.

[2] يُنظر: الشعراوي: محمد متولى، **قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول ﷺ**، الناشر: حسن محمود، (دمشق: دار القدس، ط1، 1426هـ- 2006م)، ص171، والقرني: عائض عبد الله، **التفسير الميسر**، (الرياض: العبيكان للنشر، ط5، 1436هـ- 2015م)، ص278.

4. الأصل تقديم حسن الظن بالناس عموما، ولكن لا بد من أمارات يُعرَف بها الإنسان، ترسم طريقة التعامل معه، قربا منه أو حذرا منه.
5. لا يستهين أحدنا بالصغيرة من الذنب، ولا بالخاطرة من الفكر، تبدأ الأمور صغيرة، ثم لا تلبث أن تكبر، فقد كان كره إخوة يوسف له مجرد خاطرة، لكنها تركزت، ولما تحدثوا بها بين أنفسهم تمكنت، حتى أصبحت همهم الأول، وقادهم اجتهادهم إلى ما لا يُتَوَقَّع من إلحاق الأذى به وبأبيه، حين هموا بقتله. وهكذا هي المعاصي، تبدأ صغيرة وتكبر مع تكرارها أو الاستهانة بها.
6. خطورة الغوغائية الناتجة من الاجتماع على الشر، والتي يغذيها الشيطان حتى تستقر، حتى يشعر الواحد أنه مؤاخَذ إن تركها، وعلى المصلحين محاولة مخاطبة المجموعة والأفراد على حد سواء.

المطلب الرابع: حوار إخوة يوسف مع والدهم في أكل الذئب يوسف عليه السلام

الآن يواجه الإخوة الاختبار الذي كانوا قد خططوا له ورسموه، وقد أشار الله تعالى إلى مقدار نجاح خطتهم التي خططوا لها، ومكرهم الذي مكروه، في قوله: ﴿وَجاءوا أَباهُم عِشاءً يَبكونَ ﴿١٦﴾ قالوا يا أَبانا إِنّا ذَهَبنا نَستَبِقُ وَتَرَكنا يوسُفَ عِندَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئبُ وَما أَنتَ بِمُؤمِنٍ لَنا وَلَو كُنّا صادِقينَ ﴿١٧﴾ وَجاءوا عَلى قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا فَصَبرٌ جَميلٌ وَاللَّهُ المُستَعانُ عَلى ما تَصِفونَ﴾ ﴿١٨﴾ [يوسف: 16-18].

لقد ظنوا أن يوسف إن غاب عن العين سيغيب عن القلب، وكانوا يريدون خلو وجه أبيهم لهم، بحيث يقبل عليهم بالحب والحظوة، فلم يخلُ لهم منه إلا الاستياء والبغض، ولم يستفد الإخوة شيئاً سوى أنهم ظلموا أخاهم، وعقوا أباهم، وأدخلوا عليه الهم والقلق[1].

لقد ألهاهم الحقد الفائر عن الكذبة، فلو كانوا أهدأ أعصاباً ما فعلوا ما حذرهم أبوهم منه أمس، وهو أكل الذئب يوسف عليه السلام. ولكنهم كانوا على عجلة من أمرهم لا يصبرون، وكانوا يخشون ألا يحصلوا على هذه الفرصة مرة أخرى، وكان التقاطهم لحكاية الذئب المكشوفة دليلاً على تسرعهم، وبمثل هذا التسرع جاءوا على قميصه بدم كذب، يبكون بكاء الحسرة، موهمين والدهم أنه أثر أكل الذئب له، مع تأكيدهم بأنه لن يصدق قولهم، ولو كانوا في الواقع صادقين، لأنه من شأنه ألا يثق فيهم، ولا يطمئن لعذرهم، وهم إنما يعبرون بذلك عن إحساس أبيهم، لأنهم يعلمون أن ما قالوه كذب وافتراء، وإن كانوا يدعون الصدق!

---

[1] يُنظر: نوفل: أحمد، **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص316.

ويمكننا أن نقول: إن الله تعالى قد أعطى يعقوب عليه السلام نور البصيرة، فأدرك بالقرائن ومن نداء قلبه، أن يوسف لم يأكله الذئب، ومن هذه القرائن رؤيا يوسف عليه السلام بالإضافة إلى أن الدم الذي على القميص لا يوحي بصدقهم؛ لأن الذئب لا يمكن أن يأكل يوسف دون أن يمزق ويخرق القميص، فضلاً عن كيفية توزيع الدم عليه، وفضلاً عما يعلمه من حالهم مع أخيهم، ولذلك قال لهم: "ليس الأمر كما أخبرتم، بل زيّنت لكم أنفسكم أمراً سيئاً صنعتموه به، فأمري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى، وأستعين بالله على ما تذكرونه من أمر يوسف[1].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. الحسد والحقد يعميان صاحبهما عن رؤية مصلحته، فقد يسيء إلى نفسه، وهو يحسب أنه يحسن إليها.
2. الطاغية والمفسد يجد وبال عمله عاجلاً أو آجلاً، وسيتم فضح أمره من قبل أصحاب البصائر وأرباب العقول.
3. التأني في الأمر من المحامد.
4. التفكر والتدبر قبل قبول الأقوال من سمات أولي العقول والأبصار.

---

[1] يُنظر: الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان، (دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ- 1995م)، ص541، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص150-152، والشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير**، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ)، ج3، ص14-15، وابن الفرس: أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، **أحكام القرآن**، تحقيق: صلاح الدين بن عفيف، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ- 2006م)، ج3، ص215، وخان: محمد صديق، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1412هـ- 1992م)، ج6، ص301، ونخبة من علماء التفسير، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص237، والدمشقي: عبد الله العلمي الغزي، **مؤتمر تفسير سورة (يوسف)**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1381هـ- 1961م)، ج1، ص397، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص1975-1976، والصابوني: **النبوة والأنبياء**، (دمشق: مكتبة الغزالي، ط3، 1405هـ- 1975م)، ص265.

5. من كان على نور من الله تعالى وقرب منه، يؤتيه تعالى نور البصيرة، فيرى من العواقب ما لا يدركه غيره.
6. حبال الكذب قصيرة، ولا بد للمجرم أن يترك أثرا ماديا أو معنويا لجريمته، وربما يُعرَف هؤلاء بلحن القول، والفراسة، ولا بد من ملاحظة ذلك واستخدامه حين الضرورة بالأسلوب الأفضل بغية الإصلاح.

المبحث الثاني: حوار إخوة يوسف عليه السلام مع والدهم في السنوات العجاف

المطلب الأول: حوارهم مع والدهم عندما مُنعوا الكيل

بادر إخوة يوسف –حين عودتهم من مصر، وقد مُنعوا من الكيل–، إلى والدهم يعاجلونه بالأمر ويطرقون الحديد وهو ساخن، فبدأوا بإخباره الخبر الذي عندهم من منع الكيل، ولقد أخبروه بالخبر قبل أن يفتحوا متاعهم، من شدة اهتمامهم بإيصال الخبر[1]، قال تعالى: ﴿فَلَمّا رَجَعوا إِلى أَبيهِم قالوا يا أَبانا مُنِعَ مِنَّا الكَيلُ فَأَرسِل مَعَنا أَخانا نَكتَل وَإِنّا لَهُ لَحافِظونَ ﴿٦٣﴾ قالَ هَل آمَنُكُم عَلَيهِ إِلّا كَما أَمِنتُكُم عَلى أَخيهِ مِن قَبلُ فَاللَّهُ خَيرٌ حافِظًا وَهُوَ أَرحَمُ الرّاحِمينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمّا فَتَحوا مَتاعَهُم وَجَدوا بِضاعَتَهُم رُدَّت إِلَيهِم قالوا يا أَبانا ما نَبغي هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّت إِلَينا وَنَميرُ أَهلَنا وَنَحفَظُ أَخانا وَنَزدادُ كَيلَ بَعيرٍ ذلِكَ كَيلٌ يَسيرٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [يوسف: 63–65].

وحكوا لأبيهم قصتهم مع عزيز مصر، وأنه سيمنع منهم الكيل والميرة في المستقبل، إن لم يذهب إليه أخوهم بنيامين، فقالوا: ﴿فَأَرسِل مَعَنا أَخانا﴾، وذكروا أنه إن وافق الأب على استصحاب أخيهم معهم، فلسوف يكتالون، ووعدوه أن يحفظوا أخاهم الصغير، وهم في قولهم هذا، يحاولون أن يُبعدوا ريبة الأب بسبب ما حدث ليوسف من قبل، وكانوا يعتقدون أن أباهم لا بد أن يرفض إجابتهم خوفاً عليه، فكان جوابه لهم ما حكى الله سبحانه عنه بقوله: ﴿هَل آمَنُكُم عَلَيهِ إِلّا كَما أَمِنتُكُم عَلى أَخيهِ مِن قَبلُ﴾[2]، هل آمنكم على ولدي (بنيامين) إلا كما آمنتكم على أخيه يوسف،

---

[1] نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص469.

[2] يُنظر: الشافعي: محمد الأمين بن عبد الله الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (لبنان: دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ–2001م)، ج14، ص24، وحوّى: سعيد، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ)، ج5، ص2679، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ص7011–7012.

وقد فعلتم به ما فعلتم، وعاهدتموني وضمنتم حفظه، وقلتم إنكم له لحافظون، وما فعلتم، فلما لم يحصل الأمان والحفظ هنالك، فكيف يحصل هاهنا، ثم قال فالله خير حافظاً، يعني حفظ الله خير من حفظكم له، ففيه التفويض إلى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الأمور، وفي هذا استسلام من يعقوب عليه السلام لأمر الله وتوكل عليه، وهذا هو دين الأنبياء من الإيمان العميق والاطمئنان لرب العالمين، وهو موقف ينبغي أن يتأسى به أهل الإيمان.

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. من شيم أهل الإحسان أن يتغافلوا عمن أساء إليهم، وألا يواجهوا من أساء إليهم باللفظ الجارح، بل تكفيهم الإشارة لإيصال المقصد.
2. قد يكون من الضرورة عند الحوار أن يقدم المتكلم السبب، قبل أن يقدم الطلب، لما في ذلك من المصلحة.
3. الالتجاء إلى الله في كل الأمور، من صفات أهل التقوى، وهو حقيقة التوكل على الحي القيوم الذي له الأمر كله، وهذا هو لب التوحيد وخلاصته.
4. يُدرك المصلح عاطفة الإنسان وما يؤججها، ويدرك أن ينصح بأن لا تسيطر على مصالح صاحبها وعقله، فقد جاشت عاطفة يعقوب حين تذكر فقده يوسف، وخاف على أخيه، ومع ذلك قدّر مصلحة إرساله مع إخوته، والمصلح يدرك ذلك.

المطلب الثاني: حوارهم عند اصطحاب أخيهم إلى مصر

ولما وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم قالوا فوراً تأييداً لطلبهم: ماذا نطلب زيادة من الكلام بعد هذا الإكرام والإحسان، أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن؟ وأرادوا بهذا الكلام تطييب قلب أبيهم[1].

لقد كان ردُّ بضاعتهم إليهم دليلا معلوماً على أن يوسف قد ردها بالقصد، وأنه أراد أن يملكهم إياها، فقالوا ترغيباً لأبيهم: ﴿يا أَبانا ما نَبغي﴾، أي: فماذا نريد بعد هذا الكرم: ﴿هذِهِ بِضاعَتُنا رُدَّت إِلَينا وَنَميرُ أَهلَنا وَنَحفَظُ أَخانا وَنَزدادُ كَيلَ بَعيرٍ﴾، أيْ: إذا ذهبنا بأخينا، صار سبباً لكيله لنا، وطمأنوه بأنه: ﴿كَيلٌ يَسيرٌ﴾، سهل لا ضرر فيه، والمدة لن تطول، لذا فهو يطلب منهم ما يطمئن قلبه إلى صدقهم، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قالَ لَن أُرسِلَهُ مَعَكُم حَتّى تُؤتونِ مَوثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأتُنَّني بِهِ إِلّا أَن يُحاطَ بِكُم فَلَمّا آتَوهُ مَوثِقَهُم قالَ اللَّهُ عَلى ما نَقولُ وَكيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقالَ يا بَنِيَّ لا تَدخُلوا مِن بابٍ واحِدٍ وَادخُلوا مِن أَبوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَما أُغني عَنكُم مِنَ اللَّهِ مِن شَيءٍ إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَعَلَيهِ فَليَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [يوسف: 63-67].

وهكذا يستسلم الأب يعقوب عليه السلام، ويشترط شرطاً يطمئن معه قلبه إلى ربه، وهذا رد طبيعي من أب آلمه فقد ابنه الأول، فخاف على الثاني، فقد آلمه الفقد لسنوات طويلة، وحاك في قلبه عدم الثقة في أبنائه، إلا أنه أوكل أمره لربه، وهو يحسن الظن به، ويتوكل عليه لرد كيدهم وشرهم[2].

وبعد هذا الموثق جعل يعقوب عليه السلام يوصيهم بما خطر له في رحلتهم القادمة ويخشى شيئاً عليهم، ومعهم ابنه الصغير العزيز، ويرى في دخولهم من أبواب متفرقة اتقاءً لهذا الشيء وهو

---

[1] يُنظر: الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج2، ص539-540، والزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1422هـ)، ج2، ص1120-1121، والحجازي: محمد محمود، **التفسير الواضح**، (بيروت: دار الجيل الجديد، ط10، 1413هـ)، ج2، ص190-191.

[2] يُنظر: طنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج7، ص391.

الحسد، أو هي غيرة الملك من كثرتهم، أو هو تتبع قطاع الطريق لهم، أو العين، لأنهم كانوا ذوي حُسْنٍ في الوجه، فخاف عليهم، واستسلم بأنه لا يغني عنهم من الله من شيء، فالحكم كله إليه، والاعتماد عليه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وقد يعني بالحكم هنا: الحكم القدري لله، الذي يمضي في الناس على غير إرادتهم واختيارهم، وهو أيضاً الحكم الشرعي المتمثل في الأوامر والنواهي، ولا يكون إلا لله[1].

ونحن نعلم أنه قد اتفق على وجود العين بحسب ما ورد في شرعنا وفي شرع من قبلنا، وكان نبينا ﷺ يقول: "الْعَيْنُ حَقٌّ"[2].

فيعقوب عليه السلام يعطينا درساً بأن التوكل على الله يجب أن يصاحبه الأخذ بالأسباب، والحيطة والحذر من الأضرار، والمؤمن هو الذي يأخذ بأسباب النجاة مع الثقة والاطمئنان لما قدَّر الله.

ومعلوم أن الاحتراس والحيطة والحذر، تعطي النفس الإنسانية قوة وعزاء عند وقوع المصاب، فنصيحة يعقوب عليه السلام لأولاده أدخلت الطمأنينة إلى نفسه، وجعلته في وضع لا يتحسر كثيراً، ولا يأسف أسف اليائس إذا أصابت أولاده صدمة من صدمات القدر[3].

---

(1) يُنظر: الطوفي: نجم الدين، **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**، تحقيق: أبي عاصم حسن بن عباس بن قطب، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1423هـ- 2002م)، ص333، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص2017-2018، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ص7015، 7017، ونوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص484-485، والباز: **التفسير التربوي** للقرآن الكريم،، (القاهرة: دار النشر للجامعات، ط1، 2013م)، ج2، ص112، ونخبة من علماء التفسير: **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص243.

(2) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، ج4، ص1719، رقم الحديث (2187).

(3) طبّارة: عفيف عبد الفتّاح، **اليهود في القرآن**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط10، 1984م)، ص179-180.

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. الحيطة والحذر من شأن المسلم، فلا يُقبل على الأمور دون تمحيص وبحث، وهو منهج أكده النبي عليه الصلاة والسلام: "لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ"[1].
2. الكرم من شيم أهل الخير، ولا ينبغي أن يمنعه عنه إساءة الطرف الآخر، فالمعروف يصنع لأهله ولغير أهله.
3. من كريم الأخلاق أن يقدم المحسن إحسانه للآخرين على أتم صورة.
4. الأصل حسن الظن بالمسلم، وتجنب وساوس الشيطان، "عن أبي ذر الغفاري، قال رسولُ اللهِ ﷺ فيما يروي عن ربّه تبارك وتعالى: "... كلُّ بني آدمَ يُخطئُ باللَّيلِ والنَّهارِ ثمَّ يستغفرني فأغفرَ له ولا أبالي..."[2].
5. العين حق، وأخذ الحيطة والحذر لا يتنافى مع التوكل.
6. إظهار الفقر لله تعالى، من أعظم وجوه الاستغناء، وهو مما ينزل السكينة على القلب، والطمأنينة في النفس.

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ج8، ص31، رقم الحديث (6133)، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الزهد والرقائق، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ج4، ص2295، رقم الحديث (2998).

[2] ابن خزيمة (ت ٣١١)، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، ت: عبد العزيز الشهوان، (الرياض، دار الرشد، ط 5، 1994)، 21/1، وأشار في المقدمة أنه صح وثبت بالإسناد الثابت الصحيح.

المطلب الثالث: حوارهم مع أبيهم عندما عادوا بدون أخيهم

عاد الإخوة إلى أبيهم بدون الأخ الصغير، بعدما وعدوه بالمحافظة عليه، حيث احتفظ يوسف ﷺ بأخيه وضمه إليه في مصر، بعد أن تبين لهم –بحسب الظاهر– أن أخاهم قد سرق، فقال تعالى حكاية عنهم: ﴿ارجِعوا إِلى أَبيكُم فَقولوا يا أَبانا إِنَّ ابنَكَ سَرَقَ وَما شَهِدنا إِلّا بِما عَلِمنا وَما كُنّا لِلغَيبِ حافِظينَ ﴿٨١﴾ وَاسأَلِ القَريَةَ الَّتي كُنّا فيها وَالعيرَ الَّتي أَقبَلنا فيها وَإِنّا لَصادِقونَ ﴿٨٢﴾ قالَ بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا فَصَبرٌ جَميلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأتِيَني بِهِم جَميعاً إِنَّهُ هُوَ العَليمُ الحَكيمُ﴾ ﴿٨٣﴾ [يوسف: 81–83].

ويلاحظ أن سلوك الإخوة في هذه المرة كان مختلفاً، فقد جاؤوا إلى أبيهم بالصدق كله، وقالوا ما شاهدوه، وأكدوا له أنهم أرادوا المحافظة على أخيهم، لكنهم لم يفلحوا لسبب خارج عن إرادتهم، بينما في المرة السابقة في موقفهم مع يوسف ﷺ جاءوا إلى أبيهم بالكذب كله، وكان هذا سبباً كافياً لأن لا يثق بهم أبوهم هذه المرة، فأرادوا أن يثبتوا صدقهم له، ويتبرؤوا مما شك فيه، فقالوا: "إن شككت في قولنا، فاسأل أهل القرية أو أصحاب العير، فإننا لم نكذب ولم نغير ولم نبدل، بل هذا الواقع".

وفي هذا تعليم للبشر بأن ما تشاهده العين أحياناً لا يدل على الحقيقة، فقد تكون وراء ذلك مكيدة مخفية لا تدركها العيون والأبصار، وهذا ما حصل مع إخوة يوسف ﷺ [1].

---

[1] المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ–1946م)، ج13، ص26–27، والسعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ– 2000م)، ص403، والخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج7، ص31، والخطيب: محمد عبد اللطيف، **أوضح التفاسير**، (القاهرة: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ– 1964م)، ج1، ص291.

وكان يعقوب ﷺ يعلم من الله ما لا يعلم أبناؤه، فرد عليهم مثل ما رد يوم فقدان يوسف، قائلاً: ﴿بَل سَوَّلَت لَكُم أَنفُسُكُم أَمرًا﴾، وقال هذا عندما اشتدّ حزنه بسبب فراقه لأبنائه، ولأن الأمر لم يكن كما قالوه، بل زينت لهم أنفسهم أمراً لا أصل له، ويُلاحظ عند يعقوب ﷺ الثقة في الله تعالى وأنه يضيف في هذه المرة الأمل في فرج الله، ﴿فَصَبرٌ جَميلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأتِيَني بِهِم جَميعاً﴾ لقد كان يعقوب في مصيبة فزادت مصائبه، فقدَ يوسف ثم أخويه: الصغير والكبير، وفقد بصره، فهو مملوء هماً يكتمه عن الناس، ولا زال على ثقة بربه أن يوسف وأخاه سيعودان، فصبر صبراً جميلاً لا سخط فيه ولا جزع، ولا شكوى للخلق، ثم لجأ إلى حصول الفرج لما رأى الأمر اشتد، والكربة انتهت، فظهر الأمل بالعودة وقرب اللقاء، فهو سبحانه الحكيم الذي جعل لكل شيء قدراً، ولكل أمر منتهى بحسب ما اقتضته الحكمة الربانية، ﴿ وَتَوَلّى عَنهُم وَقالَ يا أَسَفى عَلى يوسُفَ وَابيَضَّت عَيناهُ مِنَ الحُزنِ فَهُوَ كَظيمٌ ﴿٨٤﴾ قالوا تَاللَّهِ تَفتَأُ تَذكُرُ يوسُفَ حَتّى تَكونَ حَرَضًا أَو تَكونَ مِنَ الهالِكينَ ﴿٨٥﴾ قالَ إِنَّما أَشكو بَثّي وَحُزني إِلَى اللَّهِ وَأَعلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعلَمونَ ﴿٨٦﴾ فإذا تأزمت الأمور آذنت بفرج، فإن مع العسر يسراً، وهكذا يستمد يعقوب قوته من الله، ﴿يا بَنِيَّ اذهَبوا فَتَحَسَّسوا مِن يوسُفَ وَأَخيهِ وَلا تَيأَسوا مِن رَوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيأَسُ مِن رَوحِ اللَّهِ إِلَّا القَومُ الكافِرونَ﴿٨٧﴾ ولأن الرجاء يستوجب من العبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، واليأس يورث التثاقل والتباطؤ، دعا أبناءه أن يحرصوا ويجتهدوا على التفتيش عن يوسف وأخيه، وأن لا يستبعدوا قدرة الله ورحمته، وأن لا يتشبهوا بالكفار[1].

---

[1] يُنظر: الصوفي: أبو العباس أحمد، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: حسن عباس زكي، د.ط، 1419هـ)، ج2، ص619، والمظهري: محمد ثناء الله، **التفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي التونسي، (الباكستان: مكتبة الرشدية، د.ط، 1412هـ)، ج5، ص188، والشوكاني: **فتح القدير**، ج3، ص57، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص404، وأبو زهرة: محمد ابن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج7، ص3791.

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. من طبيعة الإنسان أن يكون على توجس وحذر ممن غدر به مرة، وإن أحسن الظن، وهذا من الفطنة.
2. لا بد من بيان الحجة المقنعة للطرف الآخر، فالدعاوى بلا دليل باطلة.
3. من عُرف منه الخير والصلاح، فمثله يصعب تصديق خلاف ذلك عنه.
4. ليس كل ما يُقال أو يُشاهد يُصدق، فربما تكون هناك أمور خفية لا يعلمها إلا الله، فليتريث المسلم قبل الحكم.
5. النفس من مظان مصادر السوء والوسواس، كما قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣٠﴾، فهناك من الأنفس من تميل إلى السوء وتسعى له، إلا أن يعصمها الله تعالى.
6. الثقة بالله تعالى تضفي على النفس السكون والطمأنينة في أحلك المواقف.
7. الصبر الجميل لا يكون فيه سخط، ولا شكوى للخلق.
8. الله حكيم في فعله وفي أمره، وعلى المسلم أن يعلم أن كل ما يأتيه من الله فيه خير مهما ظهر له خلاف ذلك.
9. الثقة بالله والرجاء برحمته تتطلب الجد والسعي، واليأس من رحمة الله يورث العبد التثاقل والخذلان.
10. بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله وسعيه وجده.
11. على المؤمن أن يكون على يقين تام بأن الله سيفرج عنه كربه.

المطلب الرابع: حوارهم مع أبيهم عند وصول القميص

عندما فصلت العير –التي تحمل قميص يوسف– عن أرض مصر، مقبلة إلى أرض فلسطين، شم يعقوب عليه السلام ريح القميص، فقال يعقوب كما ذكر رب العزة: ﴿وَلَمّا فَصَلَتِ العيرُ قالَ أَبوهُم إِنّي لَأَجِدُ ريحَ يوسُفَ لَولا أَن تُفَنِّدونِ ﴿٩٤﴾ قالوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفي ضَلالِكَ القَديمِ﴾ ﴿٩٥﴾، قال يعقوب عليه السلام لأولاده إنه يجد ريح يوسف، ورأى منهم التعجب من كلامه، فقال: لولا أنكم تجهلونني وتنسبونني إلى الخرف، فقال قائلهم: والله إنك لا تزال في توهمك السابق، بشأن منزلة يوسف عندك، وإمكانية رؤيته مرة ثانية، ولا تزال تائهاً في بحر لجي، لا تدري ما تقول، ثم أخبر الله تعالى، أنه لما جاء المبشر بيوسف إلى يعقوب عليه السلام ألقى القميص على وجهه فرجع بصيراً، وفرح يعقوب بهذه البشرى الطيبة وخطب في أبنائه فقال: ﴿أَلَم أَقُل لَكُم إِنّي أَعلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعلَمونَ ﴾ ﴿٩٦﴾، ألم أقل لكم إنني مرتجٍ للقاء يوسف، مترقبٌ لزوال الهم والغم والحزن.

وقد ورد في معنى قوله عليه السلام قولان:

أحدهما: إني أعلم من صحة رؤيا يوسف، وإن تأويلها سيكون على ما أرى ﴿ما لا تَعلَمونَ﴾ من تأويل الرؤيا.

والثاني: إني أعلم من بلوى الأنبياء بالشدائد والمحن التي يصيرون منها إلى وقت الفرج ﴿ما لا تَعلَمونَ﴾[1].

﴿قالوا يا أَبانَا استَغفِر لَنا ذُنوبَنا إِنّا كُنّا خاطِئينَ﴾ ﴿٩٧﴾ قالَ سَوفَ أَستَغفِرُ لَكُم رَبّي إِنَّهُ هُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ ﴾ ﴿٩٨﴾، فأقروا بذنبهم، معتذرين لأبيهم عما فعلوه بيوسف وأخيه، وطلبوا منه

---

[1] الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج6، ص194.

أن يسأل الله لهم المغفرة، فوعدهم والدهم أن يطلب لهم المغفرة من الله تعالى، فإنه هو الغفور للذنوب، وقيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل، ليكون أتم للاستغفار وأقرب للإجابة، وكأنه يقول لهم: **"ليس من السهل أن أطلب المغفرة بهذه السرعة، وقد أتيتم ذنباً كبيراً، وهو إلقاء يوسف عليه السلام في الجب إيذاءً ليوسف أولاً، ولي ثانياً، فلا أستغفر حتى يعفو صاحب الحق. وأنتم أولادي، وأنا المشرف على تربيتكم، فلا بد من بقائكم مدة تعالجون فيها نفوسكم، وتندمون فيها على فعلكم"** [1].

وهنا يُلاحظ أن عودة البصر ليعقوب تدل على معجزة وخارقة من خوارق العادات، وهي من الدلائل التي تدل على نبوة يوسف عليه السلام.

وبعدما ظهرت حقيقة فعلهم لأبيهم، قال لهم: ﴿أَلَم أَقُل لَكُم إِنّي أَعلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعلَمونَ﴾، أي: أعلم من لطف الله وإحسانه، ما لا تعلمونه أنتم، وهذا يدل على أدب يعقوب عليه السلام فعلى الرغم مما فعلوه من الشر، لم يذكر إلا فضل الله عليهم عند حلول الخيرات[2].

---

[1] حجازي: محمد محمود، **التفسير الواضح**، ج2، ص204-205، وطنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج7، ص415.

[2] يُنظر: البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، ج3، ص176، والثعالبي: عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ)، ج3، ص351، وعلوان: نعمة الله بن محمد النخجواني، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، (القاهرة: دار ركابي للنشر- الغورية، ط1، 1419هـ-1999م)، ج1، ص385، والشافعي: شمس الدين، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ط، 1285هـ)، ج2، ص135، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص306، ونوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص543-544، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص496، 498-499، والقرش: **قصة يوسف عليه السلام**، ص117-118، ونخبة من علماء التفسير: **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص246-247.

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. من عظمت ثقته بالله تعالى، أنزل الله عليه بشائر الفرج مهما كانت الشدة التي عاناها والكرب الذي حل به.
2. قد يعجب البعض من شدة ثقتك بالله عجباً يصل إلى السخرية من حالك، لكن كن مع الله ولا تيأس.
3. الإقرار بالذنب أمام الله، وأمام الناس الذين أخطأنا في حقهم فضيلة، وفي طلب المغفرة من الله تعالى دلالة على صدق التوبة.
4. من الأدب ألا نذكر الذنب أمام من جاء نادماً تائباً، ومن الخطأ أن نعير إنساناً بذنب ارتكبه أو بخطيئة وقع فيها.
5. يحرص المصلح على التبشير بكل ما يسر الإنسان، يُغَلِّب التبشير على التنفير، وينتقي أطايب الكلام، فقد جُبِل الإنسان على حبِّ من أحسن إليه، وكره من أساء إليه، فليكن المصلح إيجابيا.

الفصل الثاني: الحوارات في مصر

المبحث الأول: الحوار في بيت العزيز

المطلب الأول: حوار العزيز مع زوجته

وصل يوسف عليه السلام إلى مصر بعد أن ألقاه إخوته في البئر، وبيع بيع الرقيق، واشتراه عزيز مصر وكان يتمنى له الخير، ولذا وصى امرأته به خيراً، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشتَرَاهُ مِن مِصرَ لِامرَأَتِهِ أَكرِمي مَثواهُ عَسى أَن يَنفَعَنا أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ ﴿٢١﴾.

ويبدو أن عزيز مصر كان في منتصف العمر، ولم يكن له ولد، وكانت له فراسة في ترقب النفع من هذا الغلام، والعزيز رجل مسؤول بمصر، مشغول بمصالح قومه، ولقد طلب من امرأته أن تكرم مثوى الغلام، لعله ينتفع منه أو يتخذه ولداً، وترك الأمر لها في التنفيذ والرعاية[1].

وواضح أن العزيز كان منطقياً في رجائه، فهو يقدم النفع بين يدي اتخاذهما يوسف ولداً، فإن الرجاء الثاني مبني على الأول، ولا يتحقق الثاني إلا بعد تحقق الأول.

ثم إنه إنما قال لزوجته في خطابه: "أو نتخذه ولداً"، منطلقاً من حقيقة كون يوسف غلاماً صغيراً، قد ابتعد عن أهله، وما زال في الوقت متسعٌ لتربيته كابن، يُرجى الانتفاع منه، وهذه الفترة كفيلة في اعتقاد العزيز في تربية الولد، وأن تعامله زوجته معاملة الأم، وقد تكون غاية الرجاءين

---

[1] يُنظر: الهاشمي: **لمحات نفسية في القرآن الكريم**، ص190، والسمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية: دار الوطن، ط1، 1418هـ- 1997م)، ج3، ص19، والزمخشري: محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج2، ص453-454، وأبو حيان: **البحر المحيط في التفسير**، ج6، ص255.

أو أحدهما بيوسف عليه السلام أنه –والله أعلم– لم تكن له ذرية، ولعله قد يئس من حصوله عليها من صلبه، ففكر في طريقة أخرى، وهي طريقة التبني[1].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. الشفقة على الصغير الذي فقد أهله وقومه من شيم الكرام حتى ولو كانوا على غير ملة التوحيد، لكن الفارق بين المسلم وغير المسلم أن المسلم يبتغي بها تحصيل الثواب والأجر من الله عز وجل.
2. التربية في الصغر من أنجع وسائل الإصلاح، ولذا يجب الاهتمام بهذه الفئة، وعدم إهمالها وتركها بلا رعاية.
3. عدم التسرع في اتخاذ القرارات المهمة، والتريث فيها، ووضع أكثر من خيار بحيث يتضح الخيار الأكثر ملاءمة لنا بمرور الوقت.
4. مراعاة الجوانب العاطفية التي تملك الزوجين حبا في وجود الولد، فيدرك المصلح النزعة النفسية وراء ذلك وغيره، فالإنسان كتلة من العواطف يستغلها في إصلاحه ودعوته، بحكمة وفطنة وفهم.

---

[1] نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص213–214.

المطلب الثاني: حوار امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام

وهكذا تأتي المحنة الثانية من المحن الشديدة في حياة يوسف عليه السلام، وهي المحنة الطويلة التي مر بها يوسف، وصمد لها، ونجا منها ومن تأثيراتها ووسائلها الخبيثة.

ظهرت امرأة العزيز في القصة في عدة مشاهد، كانت فيها ذات حضور واضح قوي في الشر والمكر، نلمح هذا في قوله تعالى: ﴿وَراوَدَتهُ الَّتي هُوَ في بَيتِها عَن نَفسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبوابَ وَقالَت هَيتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبّي أَحسَنَ مَثوايَ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظّالِمون﴾ ﴿٢٣﴾.

لقد أظهرت ذكاءها الذي استخدمته في الشر والمكر والخبث، لأن إرادتها كانت أولاً سيئة.

وهي سيدة عزيزة تعيش حياة الترف والبذخ، وكانت آمرة مطاعة في قصرها، لكنها كانت من دون ذرية، ولم تكن لها تلك القيم الخلقية الذاتية الملزمة سلوكياً، وربما كانت عندها قيم، لكنها سرعان ما تلاشت أمام شهوتها الجياشة.

إن وجود يوسف عليه السلام في قصرها، وقد بلغ أشده، وهو يتمتع بقدر عال من الحيوية والجمال، وهو أيضاً عبدها الذي تملكه وترعاه، ويعيش معها مكان واحد، فأحبته حباً شديداً، حيث جماله وشبابه وكريم أخلاقه، واندفعت تحاول أن تشبع ميولها الغريزية العارمة، فكان هذا الشاب اليافع الجميل أمامها، وهكذا ابتدأت محاولات المراودة، ربما تدرجت وتكررت، حتى انتهت إلى ما خططته من مراودة وغلق للأبواب.

والنص القرآني الكريم يصور هذه المرأة وهي تتقلب في صراع الشهوة الحامية، التي تعمي عن كل شيء من خلق أو من كرامة إنسانية أو من عزة نفس ينبغي أن تحافظ عليها كل امرأة، خصوصاً إذا كانت في مكانتها ومنزلتها، لكنها في اندفاعها الهائج الكاسح، لا تحفل بشيء من

هذا كله، بل تستخدم كل مكر الأنثى وكيدها، سواء في تبرئة نفسها، أو في حمايتها من جرائر التهمة التي ألصقتها بالشاب الغريب البريء.

وأمام هذه المشاعر كان يوسف عليه السلام كما شاء له ربه، فقد اجتباه وعلمه وآتاه الحكمة، فتصرفاته لا تدل على ميل لأي شيء مما تدعوه إليه سيدته؟ صحيح أنها امرأة عزيز مصر؟ ولكن فطرته عليه السلام أبت عليه أي ميل تجاهها، فقد كان وفياً مؤمناً بالله، وكان مثالاً للطهر والعفاف، وكان من المخلصين، ولهذا لم يخن سيده، لأنه يربأ بنفسه أن يكون من الظالمين.

ولكن امرأة العزيز لم تيأس، فهي تحاول إغراء يوسف، حتى وصلت إلى مرحلة المصارحة بكل ما يكتنف قلبها من ميول الجنس، وكانت خطواتها في هذا الموقف النفسي العصيب كما يلي:

- راوَدَتهُ عَن نَفسِهِ.
- اقتران هذه المراودة بإعداد للأجواء: "وَغَلَّقَتِ الأَبوابَ".
- غاية الصراحة في جرأتها المتهالكة: "وَقالَت: هَيتَ لَكَ".

أما يوسف عليه السلام فتجلى موقفه فيما يأتي:

- يستعين بالله ليحميه منها: "قالَ مَعاذَ اللَّهِ".
- يذكر ربه، وسواء كانت كلمة (رب) هو الله الذي أكرمه وتفضل عليه دائماً، أو كان مراده بالرب سيده عزيز مصر الذي طلب منها أن تكرم مثواه في قصره: "إِنَّهُ رَبّي أَحسَنَ مَثوايَ".
- درس عملي بليغ يؤكده يوسف عليه السلام لامرأة العزيز في طلبها للفحشاء، إنه ظلم منها أن تطلب الفحشاء، وظلم لزوجها أن تخونه، وظلم من يوسف أن يستجيب لها: "إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظّالِمون".

ويلاحظ أن كلمة "رَاوَدتْهُ" تشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها، لوناً بعد لون، لأن الكلمة مأخوذة من رودان الإبل في مشيتها، تذهب وتجيء في رفق، وهذا يصور حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في حبها، ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها، وقوله: "عَن نَفسِهِ" يدل دلالة قوية على أنه لم يكن طمع فيها.

كما يلاحظ أن في التعبير: "وَغَلَّقَت الأَبْوابَ"، حيث لم يقل الله "أغلقت" ما يدل على أنها لما رأت منه محاولة الانصراف أسرعت في القفل الواحد أقفالاً عدة، وتجري من باب لباب، كأنها تحاول سد الأبواب وليس إغلاقها فقط.

"وَقَالَتْ هَيتَ لَكَ" ومعناها في هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة إلى آخر حدوده فانتهت إلى حالة من الجنون في شهوتها، ولم تعد ملكة ولا امرأة، بل كانت تعيش حالة من الأنوثة الحيوانية الصرفة متكشفة مصرحة، ودعته لنفسها مباشرة.

وهذه ثلاثة أطوار تدل على أن طبيعة الأنوثة نازلة من أعلاها إلى أسفلها[1].

﴿وَلَقَد هَمَّت بِهِ وَهَمَّ بِها لَولا أَن رَأى بُرهانَ رَبِّهِ كَذلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السّوءَ وَالفَحشاءَ إِنَّهُ مِن عِبادِنَا المُخلَصينَ ﴿٢٤﴾﴾ وهذه العبارة القرآنية تفيد أنه قد يقوى الداعي في النفس إلا أن مخافة الله وخشيته تقف أمام الذنب، فيقدم مراد الله على مراد نفسه، ولذا قال: "مَعاذَ اللهِ"، أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط الله، ويبعد عنه، ولا يليق بي أن أخون من أحسن مثواي.

---

[1] يُنظر: ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ- 1999م)، ج4، ص379، وقطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص 1980، ونوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص197-201، والهاشمي: **لمحات نفسية في القرآن الكريم**، ص191-193، والقرش: **قصة يوسف** عليه السلام، ص32، والشناوي: عبد العزيز، **مصر في القرآن والسنة**، (القاهرة: مكتبة الإيمان، د.ط، د.ت)، ص29.

والحاصل أن الموانع له من هذا الفعل:

1. تقوى الله تعالى.
2. مراعاة إكرام سيده الذي أكرمه، وفاء له.
3. صيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه.
4. برهان الإيمان في قلبه، الذي دفع لامتثال أمر الله واجتناب نهيه.

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. تبين الآيات سبب تحريم الاختلاط في الشرع، لأن عواقبه غير محمودة.
2. إن لم يعمد المسلم إلى تهذيب نفسه بنور الشرع وهداياته، ضلت وتاهت حتى شابهت البهائم، بل أضل.
3. الخشية من الله ومراقبته، تعصم الإنسان من الزلل بإذن الله، لأن من أيقن أن الله يراه، عظم عنده أن يعصي الله.
4. قبح خيانة المحسن في أهله وماله، فالأصل في الإنسان، وخاصة المسلم، أن يبادل الإحسان بالإحسان، وألا يخون من ائتمنه.
5. وجوب البعد عن مواطن الشبهات، فضلا عن مواطن السوء والفحشاء، حفاظاً على السمعة وصيانة للعرض.
6. قد يصبح الإنسان عبدا لشهواته، وقد ينسى كرامته وإنسانيته حين تهبط به غرائزه إلى درجة يفقد فيها إحساسه وتبعات فعلته.

المطلب الثالث: حوار العزيز مع زوجته ويوسف

قال تعالى: ﴿وَاستَبَقَا البابَ وَقَدَّت قَميصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلفَيا سَيِّدَها لَدَى البابِ قالَت ما جَزاءُ مَن أَرادَ بِأَهلِكَ سوءًا إِلّا أَن يُسجَنَ أَو عَذابٌ أَليمٌ﴾ ﴿٢٥﴾، هذه الآية تفيد أنه لما امتنع يوسف من إجابة طلبها، بعد المراودة الشديدة، بادر إلى الباب ليهرب منها، فبادرته بأن تعلقت بثوبه، فشقت قميصه، فلما وصلا الباب، ألفيا سيدها –زوجها– لدى الباب.

ولما رأى العزيز قميص يوسف عليه السلام –بعد شهادة شاهد من أهلها– علم حقيقة الحال وعرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمّا رَأى قَميصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِن كَيدِكُنَّ إِنَّ كَيدَكُنَّ عَظيمٌ ﴿٢٨﴾ يوسُفُ أَعرِض عَن هذا وَاستَغفِري لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الخاطِئينَ﴾ ﴿٢٩﴾.

وقد أصاب العزيز في الحكم بأن كيد النساء عظيم، لأنه أشد تأثيراً في النفس، وقد يورث من العار أشد مما يورثه كيد الرجال، ولتفرغ كثير منهن لهذا الكيد أكثر منهم، ولهذا كن أعظم وسائل الشيطان في عصيان الله تعالى.

وقد جرت عادة بعض الناس مقارنة كيد النساء بكيد الشيطان، وأن كيدهن عظيم بينما كيد الشيطان ضعيف: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76]، وهذه المقارنة لا تصح، فكيد الشيطان ضعيف مقارنة بمكر الله تعالى، أما كيد بعض النساء فمقارنة بكيد الرجال، أو نتيجة أثره العظيم.

وبعد ما ظهرت براءة يوسف، وكيد المرأة، قال العزيز: يوسف أعرض عن هذا الإثم، ولا تلتفت إليه، وأمسك لسانك عن الخوض في هذا الحديث، واكتم أمره عن الناس أجمعين، حتى لا تفتضح امرأتي بين الناس.

ثم يُلاحظ أنه قد أمر امرأته بالاستغفار لذنبها، والاستغفار طلب الغفران، والتجاوز عن الذنب، وهذا يحتمل أنها تريد أن تطلب منه الصفح والمغفرة لما بدا منها، أو أن تطلب الغفران من الله تعالى، إن كانوا يعتقدون أن لهم إلهاً أكبر من آلهتهم التي يعبدونها، وأنهم يتقربون بعبادتهم إليه كشأن عبدة الأوثان في كل مكان.

وقد قال: "إنك كنتِ من الخاطئين"، ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث، ومعنى من الخاطئين من المتعمدين، يقال: خطأ إذا أذنب[1].

ويظهر أن العزيز كان شديد المحبة لامرأته، كما أن حياة القصور المترفة جعلت عزيز مصر لا يواجه زوجته بأخطائها مواجهة صريحة ومباشرة وقاطعة، الأمر الذي يؤكد أن تأثيرها عليه كان عظيماً[2].

لقد كان موقفه من امرأته موقفاً ضعيفاً متراخياً، ولذلك لم يتكلم، ولم يتخذ الإجراء اللازم والعلاج الحاسم للمشكلات ولتغيير الواقع الذي جر إلى ما جر إليه، واكتفى بنصيحتها، ظناً منه أن هذه النصيحة سوف تطفئ نار الغريزة في نفس تأججت فيها. وهذا الموقف هو الذي جعل تلك المرأة المتحكمة تفعل بيوسف ما فعلته، وعلى الرغم من أنها كانت مخطئة في تعاملها مع زوجها

---

[1] يُنظر: خان: **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج6، ص320-321، والطبري: محمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م)، ج16، ص60-62، والماوردي: **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج3، ص29، والدمشقي: العز بن عبد السلام، **تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416هـ- 1996م)، ج2، ص117، والقاسمي: **محاسن التأويل**، ج6، ص170-171، وطنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج7، ص347-349.

[2] الهاشمي: **لمحات نفسية في القرآن الكريم**، ص190.

ويوسف عليه السلام، لكنها بسبب كل ما سبق لم تتعرض لأي لون من ألوان العقاب، بل ظلت متمسكة بما تريد الوصول إليه مع يوسف عليه السلام [1].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. على المرء أن يفر من أماكن السوء والفحشاء، خشية الوقوع في الذنب، وحفظاً لسمعته، وصيانة لعرضه.
2. الادعاء يحتاج إلى دليل وبرهان يصدقه، لأن كل دعوى بلا دليل لا طائل منها، ولا تعويل عليها.
3. الظالم في الغالب يسارع في عرض دليله دون تروٍ مما يجعله يقع في الزلل، ويفتضح أمره.
4. مشروعية العمل بالقرائن الواضحة، الحسية والعقلية، كما حدث في أمر قميص سيدنا يوسف بعد أن قدَّته المرأة من دبر.
5. للمظلوم أن يسعى لتبرئة نفسه، وإن كان القضاء ظالماً.
6. ينبغي الحذر من كيد النساء، فبعضهن لا يتقين الله عز وجل، ولا تنفع معهن النصيحة، ولا تردعهن الموعظة.
7. مراعاة الجوانب الاجتماعية خاصة الأسرة من أهم أولويات المصلح، فصلاح البيوت دعامة رئيسة لصلاح المجتمع، وبالتالي صلاح الأمة وتنقيتها من كل شوائب الانحطاط الأخلاقي والقيمي.

---

[1] رضا: **تفسير المنار**، ج12، ص238، ونوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص215.

المطلب الرابع: حوار امرأة العزيز ونسوة المدينة

بعد أن أبان الله تعالى محنة يوسف مع امرأة العزيز، ونجاته من تلك المحنة وقناعة زوجها ببراءته بناءً على شهادة شاهد من أقاربها بما تبادر له من أمر القميص، أورد الله تعالى ما تمخضت عنه هذه المحنة وتلك المحاولة من نتائج طبيعية تجلت في انتشار الخبر في مصر، ومحاولة امرأة العزيز تبرئة ساحتها أمام النساء بمكيدة محكمة وخطة مدروسة، واعترافها أمامهن بأنها هي التي راودته عن نفسه، فامتنع ، وأنها ما تزال مصرة على ما تريد، قال تعالى: ﴿وَقالَ نِسوَةٌ فِي المَدينَةِ امرَأَتُ العَزيزِ تُراوِدُ فَتاها عَن نَفسِهِ قَد شَغَفَها حُبًّا إِنّا لَنَراها في ضَلالٍ مُبينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمّا سَمِعَت بِمَكرِهِنَّ أَرسَلَت إِلَيهِنَّ وَأَعتَدَت لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَت كُلَّ واحِدَةٍ مِنهُنَّ سِكّينًا وَقالَتِ اخرُج عَلَيهِنَّ فَلَمّا رَأَينَهُ أَكبَرنَهُ وَقَطَّعنَ أَيدِيَهُنَّ وَقُلنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَرًا إِن هذا إِلّا مَلَكٌ كَريمٌ ﴿٣١﴾ قالَت فَذلِكُنَّ الَّذي لُمتُنَّني فيهِ وَلَقَد راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ فَاستَعصَمَ وَلَئِن لَم يَفعَل ما آمُرُهُ لَيُسجَنَنَّ وَلَيَكونًا مِنَ الصّاغِرينَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يوسف: 30-32].

قالت النسوة: ﴿امرَأَتُ العَزيزِ تُراوِدُ فَتاها عَن نَفسِهِ﴾ أي تطلب مواقعة غلامها إياها وتريد موافقته لها في هواها ﴿قَد شَغَفَها حُبًّا﴾ أي من شقّ شغاف قلبها حتى وصل إلى فؤادها، ﴿إِنّا لَنَراها في ضَلالٍ مُبينٍ﴾ معناه في عشق ظاهر، وقال بعضهم: في غلبة العشق ضل فيه بصيرتها وعقلها فلم يبق عليها محل الكتمان من غلبت شوقها وكثرت ذوقها"، فإن الحب لا يكتم ولا يجوز، ولا يكون محبة إلا وأتيح لها لسان العذول، ولما تحقق لها في يوسف مقام المحبة بسطت النسوة فيها لسان الملامة[1].

---

[1] الملا علي القاري: **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، تحقيق: ناجي السويد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 1971م)، ج2، ص487، والزحيلي: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج6، ص587.

وعندما ظهر أمر امرأة العزيز عند نسوة المدينة وأكابرها من أهل الترف، تاقت نفوسهن وتطلعت إلى رؤية يوسف عليه السلام الذي استطاع أن يشغل امرأة العزيز وهو فتاها، فقادهن ذلك إلى لفت الأنظار إلى قضية أخرى[1].

لقد كان هذا القول منهن مكراً ليس المقصود به مجرد اللوم لها والقدح فيها، وإنما أردن أن يتوصلن بهذا الكلام إلى رؤية يوسف، فيرين جماله الذي فتنت به امرأة العزيز[2].

فلما سمعت بسوء كلامهن فيها، قامت بدعوتهن إلى بيتها، وبعد أن حضرن وجلسن متكئات، أعطت كل واحدة منهن سكيناً، وقدمت لهن الطعام ليأكلن بالسكاكين. وقالت ليوسف: "اخرُج عَلَيهِنَّ"، فلم يمكنه إلا أن يخرج، لأنها سيدته، وهو بمنزلة العبد لها، فلما ظهر ورأين حسنه الرائع وجماله البارع، جرحن أيديهن من الدهشة، وهن يقطعن طعامهن، وقلن متعجبات مندهشات: ما هذا الذي نراه بشراً؛ لأن البشر لا يكون على هذا الحسن والجمال والصفاء، ما هذا إلا ملك كثير المحاسن [3].

وقد قالت امرأة العزيز تعقيباً على كلامهن: ﴿فَذلِكُنَّ الَّذي لُمتُنَّني فيهِ﴾ أي: هذا هو الذي شغفت بحبه، فمن يلمني على محبته، وهذا حسن منظره وجمال هيئته، ثم قالت: ﴿وَلَقَد راوَدتُهُ عَن

---

[1] يُنظر: ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، ج3، ص241، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص397.

[2] يُنظر: رضا: **تفسير المنار**، ج12، ص243، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج12، ص261-262.

[3] لجنة من علماء الأزهر: **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط18، 1416هـ- 1995م)، ص336، وابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي، **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ- 2002م)، ص695.

نَفسِهِ فَاستَعصَمَ﴾، أي: أنه مع هذا الجمال، إلا أن باطنه أحسن من ظاهره، فإنه في غاية العفة والنزاهة[1].

﴿وَلَئِن لَم يَفعَل ما آمُرُهُ لَيُسجَنَنَّ وَلَيَكونًا مِنَ الصّاغِرينَ﴾ فيه دليل على رفض يوسف مطاوعة المرأة فيما تريد، وإصرار المرأة على ما تريد حتى وصل التهديد بالسجن، وكلامها هذا فيه دليل واضح لا مرية فيه على براءته من كل شوائب الميل إليها[2].

كل ذلك يشير لنا بوضوح إلى ما يصيب المجتمع البشري من فوضى أخلاقية بسبب ضعف الوازع الديني وتبلُّد الإحساس بأهمية التقيُّد بمنهاج الله في ضبط الأهواء والشهوات وتنظيم تصريفها[3].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. إذا غاب الوازع الديني انتشرت الفوضى وعمت الموبقات الأخلاقية.
2. الترف والمكانة السياسية والاجتماعية في الغالب يكون مظنة البعد عن المنهج الصحيح، والله تعالى يقول في سورة الأنبياء: ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائِقَةُ المَوتِ وَنَبلوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيرِ فِتنَةً وَإِلَينا تُرجَعونَ﴾ ﴿٣٥﴾.
3. من التضليل الإعلامي زخرفة القول وتزيينه، بما يصيب هدف القائل، بحيث تصل فكرته للمتلقي على النحو الذي يريده.

---

(1) ابن القيم، **بدائع التفسير**، تحقيق: صالح أحمد الشامي، (الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ)، ج2، ص68، وعبد الوهاب: محمد، **تفسير آيات من القرآن الكريم**، تحقيق: محمد بلتاجي، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، د.ت)، ص141.

(2) ينظر: القرش: **قصة يوسف عليه السلام**، ص43-44.

(3) عبيد: محمد رشيد، **قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1424هـ- 2003م)، ص35.

4. الانجراف وراء كل الأقوال والصيحات، يجعل المرء منفعلاً وبعيداً عن الموضوعية بحيث يتصرف دون تروٍ وتفكير.
5. قد يصل الأمر بالظالم الطاغية ألا يبالي بمن يخالفه، حتى لو أنزل عليه أشد العقاب، إذا كان في هذا إرضاء لضميره وكبريائه.
6. قد يلجأ الإنسان إلى العذر عند الضرورة، ولكن ليس على حساب شرفه وكرامته، ولو أدى ذلك إلى وقوع الظلم عليه.
7. سمو النفس بثباتها على مبادئها وقيمها، وانحطاطها بتتبع شهواتها وغرائزها البهيمية بلا حساب لمآلات الأمور.
8. شهوة لحظة بالحرام تورث ندما دائما، فلا يشتري الإنسان عذاب عمره بلحظة شهوته.

المبحث الثاني: حوار يوسف مع صاحبَي السجن

لقد ظهر للملك وامرأته من المصلحة والرأي بعد شيوع الخبر والاتهام، وبعد معرفة براءة يوسف ﷺ، وظهور الأدلة على صدقه، ظهر لهم بعد كل هذا أن يسجنوه لأجل غير معلوم، لإسكات الفتنة ونسيان التهمة التي تلبست بها امرأة العزيز، وهكذا تأتي المحنة الثالثة والأخيرة من محن الشدة في حياة يوسف ﷺ، وهي محنة السجن، وهنا يظهر الرجل الواعي الحصيف الذي دخل السجن ظلماً، وكان هذا الخير تمهيداً لعودة يوسف ﷺ عزيزا لمصر وحاكماً لها، والله يفعل ما يشاء ويختار[1]، قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنّي أَراني أَعصِرُ خَمرًا وَقالَ الآخَرُ إِنّي أَراني أَحمِلُ فَوقَ رَأسي خُبزًا تَأكُلُ الطَّيرُ مِنهُ نَبِّئنا بِتَأويلِهِ إِنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنينَ ﴿٣٦﴾ قالَ لا يَأتيكُما طَعامٌ تُرزَقانِهِ إِلّا نَبَّأتُكُما بِتَأويلِهِ قَبلَ أَن يَأتِيَكُما ذلِكُما مِمّا عَلَّمَني رَبّي إِنّي تَرَكتُ مِلَّةَ قَومٍ لا يُؤمِنونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُم كافِرونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعتُ مِلَّةَ آبائي إِبراهيمَ وَإِسحاقَ وَيَعقوبَ ما كانَ لَنا أَن نُشرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيءٍ ذلِكَ مِن فَضلِ اللَّهِ عَلَينا وَعَلَى النّاسِ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يَشكُرونَ ﴿٣٨﴾ يا صاحِبَيِ السِّجنِ أَأَربابٌ مُتَفَرِّقونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ ﴿٣٩﴾ ما تَعبُدونَ مِن دونِهِ إِلّا أَسماءً سَمَّيتُموها أَنتُم وَآباؤُكُم ما أَنزَلَ اللَّهُ بِها مِن سُلطانٍ إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ ذلِكَ الدّينُ القَيِّمُ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمونَ ﴿٤٠﴾ يا صاحِبَيِ السِّجنِ أَمّا أَحَدُكُما فَيَسقي رَبَّهُ خَمرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصلَبُ فَتَأكُلُ الطَّيرُ مِن رَأسِهِ قُضِيَ الأَمرُ الَّذي فيهِ تَستَفتِيانِ ﴿٤١﴾ وَقالَ لِلَّذي ظَنَّ أَنَّهُ ناجٍ مِنهُمَا اذكُرني عِندَ رَبِّكَ فَأَنساهُ الشَّيطانُ ذِكرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجنِ بِضعَ سِنينَ﴾ ﴿٤٢﴾ [يوسف: 36-42].

---

[1] الزحيلي: **التفسير الوسيط**، ج2، ص1106، وقطب: سيد، **التصوير الفني في القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط10، 1408هـ- 1988م)، ص207، والباز: **التفسير التربوي للقرآن الكريم**، ج2، ص99.

لقد عرف يوسف عليه السلام في السجن بكرمه وجوده، وصدق حديثه، وحسن سمته، وكثرة عبادته ومعرفة التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، وحسن الخلق والمعاملة، مما دفع الرجلين لاستشارته في رؤياهما والتماس الخير على يديه[1].

"فلما قصّا عليه الرؤية، كره يوسف عليه السلام أن يعبّر لهما ما سألاه، لما علم ما في ذلك من المكروه على أحدهما، فأعرض عن سؤالهما، وأخذ في غيره، من إظهار المعجزة، والدعاء إلى التوحيد"[2]. وربما أعرض عن الإجابة المباشرة بقصد البدء بالدعوة واستغلال الفرصة.

قال يوسف عليه السلام: لا يأتيكما طعام يجري عليكما من الملك أو من غيره إلا بيّنت لكما حقيقته وكيفيته قبل أن يأتيكما، ذلكما التأويل الذي أعلمه هو مما علّمني ربي الذي أدين له بالتوحيد والعبودية، وعلمي به ليس من الكهانة ولا من التنجيم، إني تركت دين قوم لا يؤمنون بالله، وهم بالآخرة كافرون [3].

وقد قرّر كونه من أهل النبوة، وأن أباه وأجداده كانوا أنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وكلامه يعني أن أمر نبوة آبائه إبراهيم عليه السلام، وإسحاق، ويعقوب، كان أمراً مشهوراً في الدنيا، معروفاً بين الناس، فإذا ظهر أنه ولدهم، عظّموه، ونظروا إليه بعين الإجلال، فكان انقيادهم له أتمّ وتتأثر قلوبهم بكلامه[4].

---

[1] حموش: مأمون أحمد راتب، **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، (دمشق: ط1، 1428هـ– 2007م)، ج4، ص136–137.

[2] الحنبلي: أبو حفص عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ– 1998م)، ج11، ص102.

[3] يُنظر: نخبة من علماء التفسير: **المختصر في تفسير القرآن الكريم** ص239.

[4] ينظر: الحنبلي: **المرجع السابق**، ج11، ص103.

ثم دعاهما إلى الله وإلى الإسلام، فقال: ﴿يا صاحِبَيِ السِّجنِ أَأَربابٌ مُتَفَرِّقونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾، أي: خير أن تعبدوا إلهاً واحداً، أو آلهة متفرقة لا تغني عنكم شيئاً[1].

وسبب ذلك أنه لما ادّعى النبوة؛ كان إثبات النبوة مبنياً على إثبات الألوهية، وكان أكثر الخلق مقرين بوجود الإله العالم القادر، وإنما كانوا يتخذون أصناماً ويعبدونها، ويتوقعون حصول النفع والضّر منها، على الرغم من أن الأنبياء منعوا عبادتهم.

فلهذا قال: ﴿أَأَربابٌ مُتَفَرِّقونَ خَيرٌ أَمِ اللَّهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾، "والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار، وتقرير فساد القول بعبادة الأصنام"[2]، فتعدد الأرباب ليس في صالح الخلق، ولا خير فيه، فلو تعددت الآلهة لافترقت في الإرادة ولعلا بعضها على بعض، وفي هذا إشارة إلى أن التفرق يُضعف صفة الربوبية، فلضعفها لا تنفع ولا تضر، ولا تعطي ولا تمنع، وهذا لا يكون من صفات الرب، وهو يقول لهم: أتلك الآلهة المتعددة خير أم الله تعالى المتفرد بالملك والخلق والتدبير؟!

وقد كانت دعوة يوسف عليه السلام لتوحيد الله، وإقامة الحجة على صاحبي السجن وترغيبهما بالإيمان، وتقريرهما بإبطال دينهما بوجه خطابي قريب من أفهام العامة[3]، ونصيحة يوسف لصاحبيه تعظيم الله تعالى، ونبذ الشرك وسبل الشيطان الرجيم، وتأويل الرؤيا لهما بما أوتيه من

---

(1) حموش: **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، ج4، ص138، وابن أبي زمنين: محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ- 2002م)، ج2، ص326.

(2) الحنبلي: **اللباب في علوم الكتاب**، ج11، ص105.

(3) يُنظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص192، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص398-399، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج12، ص275-276، والطباطبائي: محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قسم المقدسة، (د.م، شبكة الفكر، د.ط، د.ت)، ج11، ص174-176.

توفيق الله الحكيم، فإن الله هو الواحد القهار الذي قهر كل شيء، وذلّ له كل شيء، وهكذا كان من تدبير الله ليوسف ولطفه به تعليمه تأويل الرؤيا، وجعلها سبباً لخروجه من بلاء السجن.

وقد أراد يوسف عليه السلام أن تظهر براءته، فطلب من الذي ظن أنه ناج منهما أن يذكر قصته وشأنه للملك، لعله يخرج من السجن، فأنسى الشيطانُ ذلك الناجي أمرَ يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، ولبث في السجن بضع سنين، والبضع من الثلاث إلى التسع[1].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. الناس يقبلون ويطمئنون إلى من حسن خلقه وحسنت معاملته.
2. عند الدعوة إلى الله يُستحب تنبيه المتلقي لما هو من اهتماماته، ليقبل برغبة على تلقي حقائق الدعوة.
3. ينبغي للإنسان دائماً أن يستحضر فضل الله عليه، في سائر الأمور المعنوية والمادية.
4. أصل الدعوة إلى التوحيد وتحقيقه، والإيمان بالنبوة يستلزم التسليم بالتوحيد.
5. ليس من الكبرياء أن يفخر المرء بآبائه وأجداده إن كانوا على علم ودين، بشرط أن يكون قد سلك مسلكهم، واتبع هديهم، وتحلى بسمتهم، لذا يقول تعالى في سورة الطور: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿٢١﴾.
6. مخاطبة العقل والحس من الأمور المهمة في الدعوة إلى كل خير.
7. استثمار المواقف واغتنام الظروف المناسبة للدعوة إلى الله.

---

[1] حموش: **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، ج4، ص138، ونخبة من علماء التفسير: **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص240.

المبحث الثالث: حوار يوسف والملك

قال تعالى: ﴿ وَقالَ المَلِكُ إِنّي أَرى سَبعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ وَسَبعَ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا المَلَأُ أَفتوني في رُؤيايَ إِن كُنتُم لِلرُّؤيا تَعبُرونَ﴿٤٣﴾ قالوا أَضغاثُ أَحلامٍ وَما نَحنُ بِتَأويلِ الأَحلامِ بِعالِمينَ﴿٤٤﴾ وَقالَ الَّذي نَجا مِنهُما وَادَّكَرَ بَعدَ أُمَّةٍ أَنا أُنَبِّئُكُم بِتَأويلِهِ فَأَرسِلونِ ﴿٤٥﴾ يوسُفُ أَيُّهَا الصِّدّيقُ أَفتِنا في سَبعِ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبعٌ عِجافٌ وَسَبعِ سُنبُلاتٍ خُضرٍ وَأُخَرَ يابِساتٍ لَعَلّي أَرجِعُ إِلَى النّاسِ لَعَلَّهُم يَعلَمونَ ﴿٤٦﴾قالَ تَزرَعونَ سَبعَ سِنينَ دَأَبًا فَما حَصَدتُم فَذَروهُ في سُنبُلِهِ إِلّا قَليلًا مِمّا تَأكُلونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأتي مِن بَعدِ ذلِكَ سَبعٌ شِدادٌ يَأكُلنَ ما قَدَّمتُم لَهُنَّ إِلّا قَليلًا مِمّا تُحصِنونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأتي مِن بَعدِ ذلِكَ عامٌ فيهِ يُغاثُ النّاسُ وَفيهِ يَعصِرونَ﴾ ﴿٤٩﴾.

بعد السنين الطويلة التي مرت على يوسف عليه السلام وهو في السجن جاء الفرج من الله، فقد رأى الملك في نومه رؤيا عجيبة غريبة، وطلب تأويلاً لها، فلم يجد جواباً شافياً، وهناك تذكر ساقي الملك قدرة يوسف عليه السلام على تأويل الأحلام، فطلب من الملك أن يرسله إلى السجن ليأتيه بالخبر اليقين، ولم يعنف يوسف هذا الناجي على نسيانه له، بل استمع له وأجابه لما أراد، فعبر السبع بقرات السمان، والسبع سنبلات الخضر، بأنهن سبع سنين مخصبات، والسبع بقرات العجاف، والسبع سنبلات اليابسات بأنهن سنوات مجدبات، وذلك لأن الرائي هو الملك، وأن رؤياه مختصة بمكانته ودوره في الرعية، فقال يوسف معبراً الرؤيا: "تزرعون سبع سنين متتابعة بجدّ، فما حصدتم في كل سنة من تلك السنين اتركوه في سنبله منعاً للتسوّس، إلا ما تحتاجون إلى أكله، ثم تجيء بعد ذلك سبع سنين مجدبة، يأكل فيها الناس كل ما حُصد في السنين المخصبة إلا قليلاً مما

تحفظونه، مما يكون بذراً، ثم يأتي بعد ذلك عام تنزل فيه الأمطار، وتنبت الزروع، ويعصر الناس فيه ما يحتاج للعصر من العنب والقصب والزيتون، فيزول الجدب بعد هذا العام المجدب[1].

وقد سجل القرآن موقف الملك بعد سماعه لهذا التعبير في قوله تعالى: ﴿وَقالَ المَلِكُ ائتوني بِهِ فَلَمّا جاءَهُ الرَّسولُ قالَ ارجِع إِلى رَبِّكَ فَاسأَلهُ ما بالُ النِّسوَةِ اللّاتي قَطَّعنَ أَيدِيَهُنَّ إِنَّ رَبّي بِكَيدِهِنَّ عَليمٌ ﴿٥٠﴾ قالَ ما خَطبُكُنَّ إِذ راوَدتُنَّ يوسُفَ عَن نَفسِهِ قُلنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمنا عَلَيهِ مِن سوءٍ قالَتِ امرَأَتُ العَزيزِ الآنَ حَصحَصَ الحَقُّ أَنا راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقينَ ﴿٥١﴾ ذلِكَ لِيَعلَمَ أَنّي لَم أَخُنهُ بِالغَيبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهدي كَيدَ الخائِنينَ ﴿٥٢﴾ وَما أُبَرِّئُ نَفسي إِنَّ النَّفسَ لَأَمّارَةٌ بِالسّوءِ إِلّا ما رَحِمَ رَبّي إِنَّ رَبّي غَفورٌ رَحيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقالَ المَلِكُ ائتوني بِهِ أَستَخلِصهُ لِنَفسي فَلَمّا كَلَّمَهُ قالَ إِنَّكَ اليَومَ لَدَينا مَكينٌ أَمينٌ ﴿٥٤﴾ قالَ اجعَلني عَلى خَزائِنِ الأَرضِ إِنّي حَفيظٌ عَليمٌ ﴾ ﴿٥٥﴾.

وهذا يعني أن الملك أمر بإخراجه من السجن بعد تعبير رؤياه، وأن يحضروه إليه، ولكن يوسف أراد أن يخرج من السجن بعد أن تثبت براءته ثبوتاً لا شك فيه، وطلب من الرسول أن يعود إلى الملك، ويطلب منه التحقيق في المؤامرة التي تمت ضده، وأن يستجوب النسوة اللاتي حضرن، عن أسباب سجنه، ليكن شاهدات في قضيته، وقد أعرض عن ذكر امرأة العزيز احتراماً لزوجها، أو ليأمن مكرها[2].

---

[1] يُنظر: السعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص399، والصابوني: **النبوة والأنبياء**، ص268، ونخبة من علماء التفسير: **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، ص241.

[2] يُنظر: الشوكاني: **فتح القدير**، ج3، ص40-41، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص400، وطبّاره: **اليهود في القرآن**، ص159.

والملك كما ذكره مؤرخو العرب من أسرة الرعاة العربية بمصر، أي الهكسوس، وهم قوم من البدو يشبهون العرب، ويتكلمون لغة قريبة جداً من العربية، وكانت هذه الأقوام تترقب ضعف الفراعنة في مصر، فتسطو على المصريين في مدنهم، وكانت الفراعنة تخافهم، وكثيراً ما استعانت بهم في حروبهم، لقوتهم وشجاعتهم[1].

فلذلك سمى الحاكم الملك في كل الآيات التي ذكر فيها الملك، لأنهم في زمن يوسف لم يكونوا من الفراعنة، وإنما كانوا من الهكسوس.

وقد كان هذا الملك ذا صفات، أَهَّلَتْهُ لأن يتعاون يوسف معه، ولو كان منعدم الخير والفضائل لما أمكنه التعايش والتفاهم، وكان أيضاً على جانب من الإدارة الحازمة القوية[2].

ومن الفوائد التي تضمنتها الآيات المذكورة ما يأتي:

1- جعل يوسف براءته في المقام الأول وخروجه من السجن في المقام الثاني، فلم يكن طلب الملك والإفراج عنه ليهمه بمقدار ما يَهُمُّهُ براءة ساحته[3].

وهذا الذي عمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل، لأنه لو خرج في الحال فربما بقي في قلب الملك من تلك التهمة أثر[4].

---

[1] الدمشقي: **مؤتمر تفسير سورة (يوسف)**، ج1، ص858. وربما يكون هذا الكلام الذي أورده الدمشقي غير صحيح باعتبار أنهما عصران، فعصر يوسف عليه السلام هو ملوك الهكسوس، بينما عصر موسى عليه السلام هو عصر الفراعنة، وبينهما مدة من الزمن، وهذا قد يسجل ضمن إعجاز القرآن التاريخي في دقة عرض الأحداث.

[2] نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص218.

[3] الدمشقي: **المرجع السابق**، ج1، ص901.

[4] النيسابوري: **غرائب القرآن وعجائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ)، ج4، ص94.

وقد عجب النبي ﷺ من أمر يوسف في قوله: "لو لَبِثْتُ في السِّجْنِ ما لَبِثَ يُوسُفُ، ثُمَّ أتانِي الدَّاعِي لَأَجَبْتُهُ" [1].

2- لم يقل يوسف: "ما بال امرأة العزيز"، بل قال: "ما بال النسوة" تأدباً معها على الرغم مما صدر منها في حقه، ومراعاة لما رآه منها من المعروف وإكرام المثوى، عندما كان في بيتها وتحت يدها.

3- العلماء أغنياء عن الملوك بالعلم الذي يحملونه، وليس الملوك بأغنياء عن العلماء بملكهم.

4- لم يخش يوسف من النسوة أن يكتمن الحقيقة عندما قال: ""ما بال النسوة"، لأنه رأى أن الحالة لا تساعد على إنكار الواقع، وكان يستأنس بكون هؤلاء النسوة قد سمعن بآذانهن اعتراف امرأة العزيز بأنها هي التي راودته عن نفسه فاستعصم.

5- لا ريب أن العزيز وذويه أرادوا بسجن يوسف عليه السلام القضاء على تهمة المرأة بتوجيه التهمة إليه، ولكن النتيجة كانت على عكس ما أرادوا، لأن سجنه كان سبباً في تعرفه على الساقي الذي طلب منه يوسف أن يذكره عند الملك، ولما رأى الملك رؤياه، تذكر الساقي أمر يوسف عليه السلام، فطلب الملك أن يمنحه الفرصة حتى يذهب ويطلب منه تعبير تلك الرؤيا[2].

ويُلاحظ أن امرأة العزيز قد أقرت بالحق، واعتذرت عن صنيعها، فقالت: ﴿الآنَ حَصحَصَ الحَقُّ أَنا راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقينَ﴾، حيث شعرت بالإثم الذي ارتكبته حين

---

[1] أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التعبير، باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك، ج9، ص32، رقم الحديث (3).

[2] الدمشقي: **مؤتمر تفسير سورة (يوسف)**، ج1، ص901-908.

أوحت بسجن بريء واستمر سجنه بضع سنين، ولعلها كانت خلال تلك السنين تشعر في نفسها بمشاعر لعل أبرزها الإحساس بالخطيئة، ولعل هذا الإحساس ثقل عليها، وتاقت نفسها إلى التخلص من ضغطه، وثقله، فما أن جاءت الفرصة حتى قالت ما قالت، ليس جواباً عن سؤال الملك فقط –وكان يكفي لجوابه كلمة– ولكن تخفيفاً لضغط نفسي. ولذلك نجد أنها بالغت في إثبات براءته عليه السلام تعويضاً عما لحقه من جهتها من أذى، فقالت: ﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّادِقينَ﴾ و﴿ ذلِكَ لِيَعلَمَ أَنّي لَم أَخُنهُ بِالغَيبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهدي كَيدَ الخائِنينَ ﴾، أي ليعلم أني لم أخنه بالغيب كما فعلت معه في حضوره وشهادته[1].

ثم ختمت ذلك بالطمع في مغفرة الله، ورحمته، وأنه إن لم يرحم عبده وإلا فهو عرضة للشر، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبّي غَفورٌ رَحيمٌ﴾، وتأملت ما بين التقديرين من التفاوت، ولا يستبعد أن تقول المرأة هذا وهي على دين الشرك، فإن القوم كانوا يقرون بالرب سبحانه وتعالى وبحقه، وإن أشركوا معه غيره[2].

وقد قال الملك ليوسف بعد اعتراف النسوة وامرأة العزيز ببراءته من التهمة التي سجنوه بسببها: ﴿إِنَّكَ اليَومَ لَدَينا مَكينٌ أَمينٌ﴾، ويندرج في هذا الوصف كمال القدرة وكمال العلم، وكونه أميناً متفرعاً عن كونه حكيماً لأنه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وإنما يفعله لداعي الحكمة.

وقد رد عليه يوسف، فقال: ﴿اجعَلني عَلى خَزائِنِ الأَرضِ إِنّي حَفيظٌ عَليمٌ﴾، أي: حفيظ لوجوه أياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والشفقة[3].

---

[1] نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص208–209.

[2] ابن القيم: محمد بن أبي بكر، **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف: إبراهيم رمضان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1410هـ)، ص331.

[3] النيسابوري: **غرائب القرآن وعجائب الفرقان**، ج4، ص101.

وهو إنما سأل ذلك ليضع الحق موضعه، وليصل نصيب الفقراء إليهم، فطلب حق الله تعالى في ذلك، ولم يطلب نصيباً لنفسه[1].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. لا بد للحق أن يظهر ولو بعد حين، ولو اكتنفه الظلام.
2. إذا أراد الله الشيء هيأ أسبابه ومقدماته، ليكون أمر الله كما أراد.
3. من جميل الأخلاق التسامح والعفو وعدم تذكير المخطئ أو الناسي بذنب لم يقصده، ولو قصده ثم تاب.
4. المعبر الصادق للرؤيا يراعي في تعبيره صاحب الرؤيا، ومكانته وحاله، وما يحيط به من أحوال.
5. القرآن الكريم أفاد طريقة ناجحة جداً في إدارة الاقتصاد وتوزيعه بين الناس، وهذا يعني أننا يمكن أن نستفيد من القرآن في إدارة الأزمات الاقتصادية، ولن يعدم الإنسان الخير إذا أقبل على القرآن.
6. البريء دائماً يتطلع إلى إظهار براءته، وبيان الحقيقة، ليأخذ الحق مجراه.
7. احترام ذوي الشأن والمكانة وأصحاب الفضل، من سمات المسلم وأخلاقياته.
8. العلم الخالص لله يرفع صاحبه، ويجعل له القبول عند الناس.
9. المكيدة قد تعود على صاحبها بما لا يحمد عقباه.
10. الاعتراف بالذنب فضيلة، فلا يمنع المسلم عن ذلك مكانة اجتماعية، أومنصب رفيع

---

[1] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج2، ص190.

أو غير ذلك.

11. للذنب والخطيئة ألم وتأثير في النفس اللوامة، فليحرص المسلم أن لا يقتل هذا الوازع الحي، بل يسارع إلى التوبة وإظهار الحق.

12. التطلع إلى رضا الله تعالى هو أعظم الغايات وأعلاها.

13. كل مسؤول عليه أن يقرب منه الأمين القادر على أداء المهمات، حتى يتمكن من إعطاء كل ذي حق حقه.

14. من علم في نفسه أنه قادر على الأمانة، فليتقدم إليها وليطلبها خشية أن تقع في يد من يضيعها.

المبحث الرابع: حوار إخوة يوسف معه ومع والدهم

المطلب الأول: حوار يوسف مع إخوته وأخذ أخيه

قال تعالى: ﴿وَلَمّا دَخَلوا عَلى يوسُفَ آوى إِلَيهِ أَخاهُ قالَ إِنّي أَنا أَخوكَ فَلا تَبتَئِس بِما كانوا يَعمَلونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمّا جَهَّزَهُم بِجَهازِهِم جَعَلَ السِّقايَةَ في رَحلِ أَخيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العيرُ إِنَّكُم لَسارِقونَ ﴿٧٠﴾ قالوا وَأَقبَلوا عَلَيهِم ماذا تَفقِدونَ ﴿٧١﴾ قالوا نَفقِدُ صُواعَ المَلِكِ وَلِمَن جاءَ بِهِ حِملُ بَعيرٍ وَأَنا بِهِ زَعيمٌ ﴿٧٢﴾ [يوسف: 69-72].

لما دخل إخوة يوسف عليه، ضم أخاه (شقيقه) إليه، واختصه من بين إخوته، وعرفه بنفسه، وقال له: لا تحزن بما كان يفعله إخوتنا بنا من إيذاء وحقد، ولما أمر يوسف عماله بتحميل إبل إخوته بالطعام، جعل مكيال الملك الذي يكيل به الطعام في وعاء أخيه الشقيق، فلما هموا ليرتحلوا إلى ديارهم، نادى المنادي أن صواع الملك مفقود، واتهموهم بالسرقة، ولعل المؤذن لا يعلم بحقيقة الحال، ﴿قالوا وَأَقبَلوا عَلَيهِم ماذا تَفقِدونَ﴾، فأقبلوا عليهم لإبعاد التهمة عنهم، فجاؤوا مقبلين إليهم، ليس لهم هم إلا إزالة التهمة التي رموا بها عنهم، فقالوا: "ماذا تفقدون"، ولم يقولوا: "ما الذي سرقنا"؟ لجزمهم أنهم برآء من السرقة، فقال المنادي: "ضاع منا صواع الملك الذي يكيل به، ولمن جاء به قبل التفتيش جُعل، وهو حمل جمل"، فقالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَد عَلِمتُم ما جِئنا لِنُفسِدَ فِي الأَرضِ وَما كُنّا سارِقينَ ﴿٧٣﴾ قالوا فَما جَزاؤُهُ إِن كُنتُم كاذِبينَ ﴿٧٤﴾ قالوا جَزاؤُهُ مَن وُجِدَ في رَحلِهِ فَهُوَ جَزاؤُهُ كَذلِكَ نَجزِي الظّالِمينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوعِيَتِهِم قَبلَ وِعاءِ أَخيهِ ثُمَّ استَخرَجَها مِن وِعاءِ أَخيهِ كَذلِكَ كِدنا لِيوسُفَ ما كانَ لِيَأخُذَ أَخاهُ في دينِ المَلِكِ إِلّا أَن يَشاءَ اللَّهُ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ وَفَوقَ كُلِّ ذي عِلمٍ عَليمٌ ﴿٧٦﴾. فبينوا أنهم لم يأتوا ليفسدوا في الأرض، وأن السرقة من أكبر أنواع الفساد،

وأقسموا على أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم سبروا من أحوالهم ما يدلهم على عفتهم، وهذا أبلغ في نفي الفتنة.

فقال المنادي وأصحابه: فما جزاء من سرقه عندكم إن كنتم كاذبين في دعواكم البراءة من السرقة"؟ قالوا: من وُجد المسروق في وعائه، يسلم برقبته للمسروق منه يسترقه.

فبدأ يوسف بتفتيش أوعية إخوته غير الأشقاء، قبل أخيه الشقيق، ستراً للحيلة، ثم فتش في وعاء أخيه، فوجدها عنده، وهكذا دبر يوسف هذه الحيلة، ليكون عقاب أخيه الاسترقاق، لأن هذا الأمر لا يتحقق لو عمل بعقاب الملك للسارق، الذي هو الضرب والتغريم، إلا أن يشاء الله أمراً آخر.

لقد كان الإخوة قبل قليل في حالة معنوية عالية، وفي ثقة كاملة، وعزة نفس، حتى اكتشف الصواع في رحل الأخ، ولذلك صاروا كمن فقد التركيز والاتزان يتكلمون بغير وعي، فقالوا عن يوسف عليه السلام: ﴿إِن يَسرِق فَقَد سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِن قَبلُ فَأَسَرَّها يوسُفُ في نَفسِهِ وَلَم يُبدِها لَهُم قالَ أَنتُم شَرٌّ مَكانًا وَاللَّهُ أَعلَمُ بِما تَصِفونَ ﴿٧٧﴾ قالوا يا أَيُّهَا العَزيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيخًا كَبيرًا فَخُذ أَحَدَنا مَكانَهُ إِنّا نَراكَ مِنَ المُحسِنينَ﴿٧٨﴾ قالَ مَعاذَ اللَّهِ أَن نَأخُذَ إِلّا مَن وَجَدنا مَتاعَنا عِندَهُ إِنّا إِذًا لَظالِمونَ ﴿٧٩﴾ [يوسف: 77-79].

صحيح أن المفاجأة تعقد الألسنة، لكن كان يمكن ضبط النفس لو كانوا يملكون الأناة، إذ ما الذي جدّد سيرة يوسف على ألسنتهم حتى توجهوا له هذه التهمة؟ لا شيء سوى أن هذا هو شقيق يوسف[1].

[1] يُنظر: الشوكاني: **فتح القدير**، ج3، ص51-52، ونوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص502-503.

إنها بقايا الحسد ما زالت عالقة في أغوار أنفس إخوة يوسف، وقد كان غرضهم من هذا الكلام أن يبينوا أنهم ليسوا على طريقته ولا على سيرته، وأنه هو وأخوه مختصان بهذه الطريقة لأنهما من أم أخرى[1].

أما عن رد فعل يوسف فقد كان موقفهم أشد تأثيراً في قلبه من موقفهم الأول، لكنه اعتاد على مواجهة النوازل بانضباط نفسي صارم، وبالأناة، والهدوء، فكأنه ما سمع شيئاً، بل كتمها في نفسه ولم يظهر انفعاله، أو تأثره، أو غضبه مما قالوا، وأعرض عن زجرهم وعقابهم مع أنهم طعنوا فيه وكذبوا عليه، فقال في نفسه: أنتم أسوأ مما تفترون على يوسف، والله عز وجل هو الذي يعلم حقيقة الحال، وأنه لا مجال لصدق شيء من الذي تفترونه، وهو سبحانه أعلم بحال ما تصفون[2].

وحين أدركوا أن أخاهم سيؤخذ منهم، وأنهم سيعودون إلى أبيهم من غيره، تذكروا وعدهم لأبيهم، فبدؤوا يستعطفون يوسف عليه السلام، ولم يعرفوا شخصيته الحقيقية، حاولوا أخذ أخيهم من عنده، فقالوا: إن لهم أباً شيخاً كبيرا، فخذ أحدنا مكانه. وسواء كانوا يقصدون شيخاً كبيراً في مقامه أو في سنه، فهم يريدون إقناع العزيز بأي شكل بحيث يوفوا وعدهم لأبيهم، فلا يتحمل صدمة فقده ابنه الآخر.

من هنا حاولوا عرض أنفسهم أن يأخذ العزيز (يوسف) أحدَهم بدلاً من أخيهم، ولكن هيهات: فالعدل أن يأخذ يوسف عليه السلام المجرم نفسه لا أحدا سواه، كيف يأخذ إنساناً بذنب إنسان آخر، فهو الظلم ذاته.

---

[1] ينظر: الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج18، ص187، وابن جزي: محمد بن أحمد الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ)، ج1، ص393.

[2] ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج13، ص34-36.

ثم انفردوا للتشاور فيما بينهم، وذكرهم أخوهم الكبير بالعهد المؤكد الذي أخذه والدهم عليهم، وقال: لقد فرطتم قبل ذلك بيوسف، ولم تفوا بعهد أبيكم هذه المرة، فلن أترك أرض مصر حتى يسمح لي أبي بالرجوع، عودوا إلى أبيكم وأخبروه أن ابنه سرق، فاسترقه عزيز مصر عقوبة له[1].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. ليس عيباً أن يتذكر المرء من أساء إليه، فهذه فطرة بشرية، وخواطر نفس، بشرط ألا يحمله ذلك على الأذى والانتقام.
2. لا بأس من حيلة فيها خدعة خفية، لأجل المصلحة المشروعة، ودون إيذاء للغير.
3. على البريء أن يقدم عذره وبراءته بصورة واضحة، وأن يبالغ في نفي التهمة عن نفسه.
4. قد يضطرب الفكر في حال الدهشة والصدمة، ولكن يجب الحرص عند النطق واللفظ، حتى لا يؤذي غيره.
5. إذا وجد المرء موقفاً شديداً عليه، فليعالج نفسه بالصبر والأناة.
6. لا بد للمسلم أن يجتهد وسعه لإيفاء وعده، وتحقيق عهده.
7. لا يفقد المصلح الأمل في الناس مهما أوغلوا في طغيانهم، فها هي لحظات الحياء من والدهم تجتاح أخاهم الأكبر، فتمنعه من لقاء والده وقد بدا أنهم خذلوه مرة أخرى.

---

[1] يُنظر: الحنبلي: **اللباب في علوم الكتاب**، ج11، ص176، والشوكاني: **فتح القدير**، ج3، ص55، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص403، والشعراوي: **قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول ﷺ**، ص220.

المطلب الثاني: حوار إخوة يوسف وسؤالهم الميرة

دخل الإخوة على يوسف عليه السلام وقد اشتد بهم الضر والحاجة وقد حلت السنوات العجاف، فطلبوا منه أن يتصدق عليهم ويقدم لهم الميرة، وهنا فاض قلب يوسف حناناً وعطفاً على إخوته، وسألهم عما فعلوه بيوسف في زمان جهلهم[1].

قال تعالى: ﴿فَلَمّا دَخَلوا عَلَيهِ قالوا يا أَيُّهَا العَزيزُ مَسَّنا وَأَهلَنَا الضُّرُّ وَجِئنا بِبِضاعَةٍ مُزجاةٍ فَأَوفِ لَنَا الكَيلَ وَتَصَدَّق عَلَينا إِنَّ اللَّهَ يَجزِي المُتَصَدِّقينَ ﴿٨٨﴾ قالَ هَل عَلِمتُم ما فَعَلتُم بِيوسُفَ وَأَخيهِ إِذ أَنتُم جاهِلونَ ﴿٨٩﴾ قالوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يوسُفُ قالَ أَنا يوسُفُ وَهذا أَخي قَد مَنَّ اللَّهُ عَلَينا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصبِر فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجرَ المُحسِنينَ ﴿٩٠﴾ قالوا تَاللَّهِ لَقَد آثَرَكَ اللَّهُ عَلَينا وَإِن كُنّا لَخاطِئينَ ﴿٩١﴾ قالَ لا تَثريبَ عَلَيكُمُ اليَومَ يَغفِرُ اللَّهُ لَكُم وَهُوَ أَرحَمُ الرّاحِمينَ﴾ ﴿٩٢﴾ [يوسف: 88-92].

الاستفهام في قوله: ﴿هَل عَلِمتُم﴾ للتوبيخ والتقريع، وقد كانوا عالمين بذلك، ولكنه أراد ما أنكروه، ويستفاد منه تعظيم الواقعة لكونه في قوة: ما أعظم الأمر الذي ارتكبتم من يوسف وأخيه، وما أقبح ما أقدمتم عليه؟

ثم نفى عنهم العلم، وأثبت لهم صفة الجهل، قوله تعالى: ﴿إِذ أَنتُم جاهِلونَ﴾، ولم يتحدث إليهم بعزّة الكبرياء، وغرور المكانة التي وصل إليها، بل أثبت لهم صفة الجهل لقصد الاعتذار عنهم وتخفيف الأمر عليهم، وقوله عليه السلام هذا الأمر بهذه الصيغة من التلطّف، فكأنه قال: "إنما أقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر وقت عدم علمكم بما فيه من الإثم، وقصور معارفكم عن

---

[1] شحاتة: عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1976م)، ص148.

عاقبته، وما يترتب عليه"، أو أراد أنهم عند ذلك كانوا في أوان الصبا وزمان الصغر، اعتذاراً لهم ودفعاً لهم من الخجل والحيرة مع علمه وعلمهم بأنهم كانوا في ذلك الوقت كباراً.

ثم عرّفهم على نفسه وقال: ﴿أَنا يوسُفُ وَهذا أَخي﴾ ولم يقل: أنا هو، تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته، كأنه قال: أنا المظلوم، ثم عرّف على أخيه وقال: وهذا أخي مع كونهم يعرفونه ولا ينكرونه، لأن قصده وهذا أخي المظلوم كظلمي، وجاء ذكر يوسف له هنا دليلاً على أن أخاه قد دخل معه في النعمة، وأن الحق سبحانه قد أعزّ الاثنين، ﴿قَد مَنَّ اللَّهُ عَلَينا﴾ بكل خير في الدنيا والآخرة، لأنه من يفعل التقوى، ويصبر على المصائب، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضيعُ أَجرَ المُحسِنينَ﴾، أي: أجرهم للدلالة على أن الموصوفين بالتقوى موصوفون بصفة الإحسان.

ثم اعترفوا بفضله وعظيم قدره، فقالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَد آثَرَكَ اللَّهُ عَلَينا﴾، أي لقد اختارك وفضلك علينا في الرفعة عليهم في الخَلْق والخُلُق، والسعة، والملك، والتصرف، والنبوة، ﴿وَإِن كُنّا لَخاطِئينَ﴾ ثم تابوا وطلبوا الغفران بعد أن لاحظوا عناية الله الخاصة به.

فقابلهم يوسف عليه السلام بالعفو واستغفر لهم الله، ﴿لا تَثريبَ عَلَيكُمُ﴾، أي لا تعيير ولا توبيخ، ولا لوم عليكم، بل حمد الله عز وجل بأن جمع بينه وبين إخوته بعد تفرقهم، وهذا من شرط الكرم أن يعفو إذا قدر ويقبل عذر من اعتذر، ثم دعا لهم بقوله: ﴿اليَومَ يَغفِرُ اللَّهُ لَكُم﴾ على تقدير الوقف على اليوم بشارة بعاجل غفران الله، أو أخبرهم بأن الله قد غفر لهم ذلك اليوم على تقدير الوقف على عليكم، يرحم عباده رحمة، فيجازي محسنهم ويغفر لمسيئهم، فأي رحمة في العالم مستمدّة من رحمته سبحانه[1].

---

[1] يُنظر: الشوكاني: **فتح القدير**، ج3، ص62-63، والنسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج2، ص131-132، وحموش: **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، ج4، ص168، والشناوي: **مصر في=**

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1- يؤيد الله عز وجل المظلوم إذا صبر واتقى، ويذل الظالم ولو بعد حين.

2- فضيلة الصدقة وثواب المتصدقين.

3- لا ينسب الإنسان النعم إلى نفسه، بل ينسبها إلى الله المنعم المتفضل.

4- فضيلة التقوى والصبر، وأن كل خير في الدنيا والآخرة من آثارهما.

5- المسلم يعفو عند القدرة.

6- المسلم يدعو لمن أخطأ عليه بالمغفرة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين[1].

7- بث الأمل بالتوبة والمغفرة على من عصى وكفر، فأبواب الرحمة لا تُغلق، ورجاء العبد بربه ينبغي تعزيزه، فهو في قرارة نفسه يعرف أنه مخطئ، ولكنه التمني والتكبر والانسياق وراء الشهوات.

= **القرآن والسنة**، ص56، والشعراوي: **تفسير الشعراوي**، ص7060-7065، وعبيد: **قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم**، ص101-102.

[1] القرش: **قصة يوسف عليه السلام**، ص108-109، 114-115.

المطلب الثالث: حوار يوسف مع والده عند دخول مصر

وبعد كر الأعوام وانقضاء الأيام، وتعاقب الألم والأمل، وبعد الامتحان والابتلاء، وبعد الشوق المضني والحزن الكامد، يأتي مشهد حافل بالانفعال والفرح والدموع، قال تعالى: ﴿فَلَمّا دَخَلوا عَلى يوسُفَ آوى إِلَيهِ أَبَوَيهِ وَقالَ ادخُلوا مِصرَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى العَرشِ وَخَرّوا لَهُ سُجَّدًا وَقالَ يا أَبَتِ هذا تَأويلُ رُؤيايَ مِن قَبلُ قَد جَعَلَها رَبّي حَقًّا وَقَد أَحسَنَ بي إِذ أَخرَجَني مِنَ السِّجنِ وَجاءَ بِكُم مِنَ البَدوِ مِن بَعدِ أَن نَزَغَ الشَّيطانُ بَيني وَبَينَ إِخوَتي إِنَّ رَبّي لَطيفٌ لِما يَشاءُ إِنَّهُ هُوَ العَليمُ الحَكيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ [يوسف: 99-100].

ويذكر يوسف عليه السلام بين هذا كله ربه: ﴿ادخُلوا مِصرَ إِن شاءَ اللَّهُ آمِنينَ﴾، ويذكر رؤياه ويرى تأويلها بين يديه في سجود إخوته له –وقد رفع أبويه على السرير الذي يجلس عليه– كما رأى الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين.

ثم يذكر نعمة الله عليه ولطفه في تدبيره لتحقيق مشيئته، فيقول: ﴿ إِنَّ رَبّي لَطيفٌ لِما يَشاءُ﴾[1].

واللطف في التعبير والرهافة في الشعور ظاهرتان باديتان في أدبه الكلامي، وكرم نفسه إذ إنه ينسب عمل إخوته إلى نزغات الشيطان وحده، حتى لا يشير مجرد إشارة إلى نفوسهم التي استجابت بكل طواعية لهذه النزغات، ﴿ نَزَغَ الشَّيطانُ بَيني وَبَينَ إِخوَتي﴾[2]، لأنه لم يرد مواجهة إخوته باللوم بعد أن قال لهم: ﴿لا تَثريبَ عَلَيكُمُ اليَومَ﴾، ولذلك ذكر إخراجه من السجن ولم يذكر

---

[1] ينظر: قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص2029.

[2] ينظر: عبيد: **قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم**، ص32، والجزائري: جابر بن موسى بن عبد القادر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (المملكة العربية السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ- 2003م)، ج2، ص645، وخان: **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج6، ص405.

إخراجه من البئر[1]، لأن المجلس مجلس العفو والصفح والمسامحة، وهذا شأن الكريم يتناسى ويذكر الإحسان[2].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. الصبر عاقبته الفرج.
2. في لحظة الانتصار والفرج، لا بد أن يلهج القلب واللسان بالشكر والحمد لله، وأنه سبحانه الذي الفضل والمنة.
3. الأدب في اللفظ والقول حين مواجهة الآخر بالخطأ، حفاظاً على المودة والألفة.
4. العفو والصفح والإحسان، من رفيع الأخلاق والمحامد، خاصة في وقت الانتصار والرفعة.
5. للشيطان دائماً وجود في أعمال الشر والمكيدة، فليتنبه الإنسان لهذا، فلا ينجرف خلف وساوسه.
6. التواضع عامل مساعد في رفع مكانة العبد.

---

[1] ينظر: الملا علي القاري: **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، ج2، ص520، والرازي: **مفاتيح الغيب**، ج18، ص512.

[2] ينظر: القرني: **التفسير الميسر**، ص292.

المبحث الخامس: مناجاة يوسف ربه

المطلب الأول: سؤال الله العصمة

عندما سمع يوسف عليه السلام وعيد المرأة له بالسجن والصغار إن لم يجبها إلى ما تريده، قال: ﴿رَبِّ السِّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمّا يَدعونَني إِلَيهِ وَإِلّا تَصرِف عَنّي كَيدَهُنَّ أَصبُ إِلَيهِنَّ وَأَكُن مِنَ الجاهِلينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف:33].

وهو لا يحب ما يدعونه إليه، ولا يريده، ولا يريد السجن أيضاً، ولكنه اختار السجن مع ما فيه من الألم والشدة وضيق النفس، على ما يدعونه إليه خوفاً من الله ورجاءَ ثوابه، ولأجل مرضاة الله تعالى والتباعد عن محارمه، وليصرف الله به كيد امرأة العزيز ونسوة المدينة[1]، ولو شاء الله أن يصرف ذلك عنه بغير السجن لفعل، ولكن علم الله أن ليوسف ألفاظاً لا بد له من قولها في هذه النازلة، فضلاً عن علمه سبحانه بما سيكون في السجن من منح[2].

لقد دعا يوسف عليه السلام ربه في كشف بلواه مع التخوف، والتجأ إلى ربه، وتبرأ من حوله وقوته، والتجأ واعتصم بحول الله وقوته، وخشي من تقلب القلب، ومن الفتنة بالميل إلى لذة الحرام[3].

وفي دعائه دليل على أنه ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمرين – فعل معصية، أو عقوبة دنيوية – أن يختار العقوبة الدنيوية الزائلة على مواقعة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا

---

(1) يُنظر: الطوسي: **التبيان في تفسير القرآن**، ج6، ص135، وابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص241، والصابوني: محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط7، 1402هـ- 1981م)، ج2، ص249.

(2) السلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، **زيادات حقائق التفسير**، تحقيق: جيرهارد بورينغ، (بيروت: دار المشرق، ط1، 1995م)، ص74.

(3) ينظر: ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج12، ص266، والزحيلي: **التفسير الوسيط**، ج2، ص1105.

والآخرة، ولهذا كان من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار، وفيه دليل على أثر البيئة، فلا يستريح الطيب في البيئة الفاسدة[1].

ولذلك فضّل يوسف عليه السلام السجن على ما فيه من عذاب لأن السجن عذاب بدني، والوقوع في الفاحشة عذاب نفسي، والأول موقوت، والثاني ندم يلح على نفسه ما بقي فيه نفس، وهو في السجن مظلوم وفي المعصية يكون ظالماً، والسجن مجال لتذكر الله، وهو في السجن سيد نفسه، وخارجه يُدعى ليكون عبد شهواته[2].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار وتلك المناجاة في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. اختيار الضيق والشدة في الدنيا، والاحتفاظ بالدين والتزام أمر الله، فالأول فان، والثاني باق.
2. التبرؤ من الحول والقوة، والالتجاء إلى حول الله وقوته.
3. الذنب له ألم نفسي في القلب المؤمن، ولهذا يحرص المؤمن على رضا ربه في جميع أحواله.
4. أن يكون الإنسان في الدنيا مظلوماً خير له من أن يكون ظالماً، فقد حرّم الله الظلم على نفسه، وحرّمه على خلقه، لقبحه وشناعته، "عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن ربه أنه قال: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا"[3].

---

[1] القرش: **قصة يوسف عليه السلام**، ص44، والحجازي: **التفسير الواضح**، ج2، ص175.

[2] نوفل: **سورة (يوسف) دراسة تحليلية**، ص383.

[3] أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ج4، ص1994، رقم الحديث (2577).

المطلب الثاني: سؤال الله حسن الخاتمة

إن الإنسان مهما عاش فهو ميت، ونظراً لذلك كله، انتقل يوسف عليه السلام من خطابه العظيم الذي ألقاه، إلى بيان ما أنعم الله عليه، كما انتقل من تذكر الدنيا لتذكر الآخرة، ومن تصور حال الحياة، لتصور حال الموت، فقال يخاطب ربه[1]: ﴿رَبِّ قَد آتَيتَني مِنَ المُلكِ وَعَلَّمتَني مِن تَأويلِ الأَحاديثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالأَرضِ أَنتَ وَلِيّي فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ تَوَفَّني مُسلِمًا وَأَلحِقني بِالصّالِحينَ﴾ ﴿١٠١﴾ [يوسف:101].

وفي هذه الآية التجاء يوسف عليه السلام إلى ربه بالدعاء بعد تمام نعمه سبحانه عليه، من قوة السلطان وحسن التمكين، وتأويل الأحلام للسائلين، والحكم والعلم والنبوة، ليتم نعمته عليه بحسن العاقبة والخاتمة الصالحة، والوفاة على الإيمان، واللحوق بالصالحين من آبائه الأنبياء[2].

وجمعت هذه الدعوة كون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد[3]، لشعوره بأن ما خلقه له من الخير والنعمة قد تم كما فهمه أبوه، وكل شيء بلغ حده في هذه الحياة انتهى.

---

(1) الدمشقي: **مؤتمر تفسير سورة (يوسف)**، ج1، ص1348.

(2) حموش: **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، ج4، ص174، وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص414، والحنبلي: **اللباب في علوم الكتاب**، ج11، ص220، ومخلوف: حسنين محمد، **صفوة البيان لمعاني القرآن**، (دولة الإمارات العربية المتحدة: مطابع الشروق، د.ط، 1402هـ-1982م)، ص316، والزحيلي: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج6، ص522.

(3) ابن القيم: **تفسير القرآن الكريم**، ص331-332.

وهو يقدم كل هذا توسلاً بهذا الاعتراف والشكر إلى الله تعالى ليستجيب له، وبعد هذا التوسل بشكر فضل الله، يتوسل بتعظيم الله، ومناداته باسم الخالق الذي فطر السموات والأرض، والتوسل باتخاذه سبحانه ولياً دون سواه في الدنيا والآخرة[1].

يقول ابن عطية: "وذكر كثير من المفسرين: أن يوسف عليه السلام لما عدد في هذه الآية نعم الله عز وجل عنده، تشوق إلى لقاء ربه ولقاء بعض الجُلَّة وصالحي سلفه، وغيرهم من المؤمنين، ورأى أن الدنيا كلها قليلة، فتمنى الموت [2].

ويتجلى البعد الإصلاحي في هذا الحوار في عدة أمور من أهمها ما يأتي:

1. الإنسان في أوج انتصاره ورفعته، يجب أن يظهر افتقاره إلى ربه، فهذه حقيقة العبودية.
2. المسلم يجتهد دائماً أن يذكر ما أعده الله لعباده الصالحين، ليكون ذلك دافعاً للعمل والمسارعة في طاعة الله.
3. المسلم دائماً لا بد له من تذكر نعم الله، لما فيها من بيان الافتقار والحاجة إليه سبحانه.
4. الغاية الحقيقية التي يتطلع إليها المسلم في حياته ويسعى إليها هو أن يلقى الله تعالى وهو راض عنه.

---

[1] نوفل: **سورة يوسف: دراسة تحليلية**، ص553، 556.

[2] ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص283.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على مفتاح الخيرات والبركات سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين...

وبعد:

ففي ختام هذا البحث أستطيع أن أرصد بعض ما فتح الله علي من نتائج هذه الدراسة، فأقول، والله ولي التوفيق:

1. البعد الإصلاحي غاية عظمى في القرآن الكريم، فالإصلاح أحد أهم مقاصد إرسال الرسل، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾، [هود:88].
2. الغاية من البعد الإصلاحي في الحوار: الدعوة إلى الله عموما، خاصة تصحيح العقيدة، وتقويم الأخلاق، وتهذيب الألسن، وتنوير العقول، والحث على عمل الخير.
3. معالم البعد الإصلاحي تظهر في تأكيد أساليب الهداية، وتحريك العقول بالتفكر والتعقل والتدبر، وتهذيب النفوس بذكر ما يلامس مصالحها الحقيقية.
4. البعد الإصلاحي في الحوارات، يأتي واضحاً من مواقف الشخصيات، فيكشف خفايا نفوسها، وخطرات قلوبها، بما يخرج من الألفاظ والكلمات في الحوار.
5. البعد الإصلاحي في الحوارات القرآنية يحمل المنهج الإسلامي بكل ما يحمل من عقائد وأحكام وأخلاق وسمو نفس.
6. ملامح البعد الإصلاحي تمثلت في عدة حوارات، ومنها:

- تماسك يوسف عليه السلام أمام إغراءات امرأة العزيز وقوة موقفه في نفي التهمة عن نفسه.
- هداية صاحبي السجن بعد أن قصا على يوسف رؤياهما، وجميل حواره معهما في الانتقال من الجواب المباشر إلى الدعوة إلى الله تعالى وتوحيده، واستجابتهما له.
- هداية توبة امرأة العزيز عن ذنبها ومراودتها ليوسف، وقد أعلنت ذلك على الملأ في مجلس الملك.
- اعتراف إخوة يوسف بذنبهم وسوء تصرفهم مع يوسف من البداية، عندما سألوا والدهم وأخاهم العفو والصفح.
- علو شأن يوسف عليه السلام حين طلب من رسول الملك الرجوع إليه وسؤاله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وذلك لتثبت براءته.

التوصيات

1. الإقبال على حوارات القرآن، لما فيها من تصحيح العقيدة وتقويم الخلق.
2. الاهتمام بمنهجية الحوار وأبعاده في الكتب المدرسية على ضوء حوارات القرآن، لما في ذلك من تهذيب للنفس، وتقويم للفكر.
3. الدعوة للبحث في مجالات النفس عن طريق الحوارات في القرآن.

وفي الختام أسأل المولى عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقني ويسددني، وأن يجعلني من ملازمي كتابه قراءةً وتفسيراً وفهماً وعملاً، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط1، 1412هـ).

الألوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

الباز: أنور، **التفسير التربوي للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النشر للجامعات، ط1، 2013م).

البخاري: محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بـ صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير ابن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).

بدران: محمد بن فتح الله، **الفلسفة الحديثة في الميزان وتأسيس القواعد من القرآن**، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1388هـ- 1968م).

البزار: أبو بكر أحمد، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط1، 2009م).

البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ).

البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**، قدم له وحقق وعلق عليه وأخرج أحاديثه: عبد السميع محمد أحمد حسنين، (الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ- 1987م).

البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).

البيضاوي: ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ- 1975م).

التهانوي: محمد علي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلو**م، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1996م).

الثعالبي: عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد علي معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ).

الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422هـ- 2002م).

الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، **دَرْج الدرر في تفسير الآي والسور**، تحقيق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، تحقيق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، (عمَّان: دار الفكر، ط1، 1430هـ- 2009م).

الجزائري: جابر بن موسى بن عبد القادر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ- 2003م).

ابن جزي: محمد بن أحمد الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416هـ).

ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي، **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ- 2002م).

الجوهري: أبو نصر إسماعيل، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: محمد محمد تامر، (القاهرة: دار الحديث، د.ط، 1430هـ-2009م).

ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن، **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ).

الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ-1990م).

الحجازي: محمد محمود، **التفسير الواضح**، (بيروت: دار الجيل الجديد، ط10، 1413هـ).

حموش: مأمون أحمد راتب، **التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون**، (دمشق، ط1، 1428هـ- 2007م).

الحنبلي: أبو حفص عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ- 1998م).

حوّى: سعيد، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط6، 1424هـ).

أبو حيان: محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1420هـ).

الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

خان: محمد صديق، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، 1412هـ- 1992م).

ابن خزيمة، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، ت: عبد العزيز الشهوان، (الرياض، دار الرشد، ط 5، 1994).

الخطيب: محمد عبد اللطيف، **أوضح التفاسير**، (مصر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383هـ- 1964م).

الخطيب: عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

الخطيب: عبد الكريم يونس، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف**، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط2، 1395هـ- 1975م).

الدارمي: أبو محمد عبد الله السمرقندي، **سنن الدارمي**، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، (المملكة العربية السعودية، دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ-2000م).

الدمشقي: عبد الله العلمي الغزي، **مؤتمر تفسير سورة (يوسف)**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1381هـ- 1961م).

الدوسري: منيرة محمد ناصر، **أسماء سور القرآن وفضائلها**، تقديم: فهد بن عبد الرحمن الرومي، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، **تاريخ الإسلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (د.م، دار الكتاب العربي، ط2، 1410هـ-1990م).

الرازي: محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الشهير بخطيب الري، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1401هـ- 1981م).

رضا: محمد رشيد، **تفسير المنار**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م).

الزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر، ط10، 1430هـ- 2009م).

الزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1422هـ).

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 1376هـ- 1957م).

الزمخشري: محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).

ابن أبي زمنين: محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ-2002م).

أبو زهرة: محمد ابن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م).

السعدي: عبد الرحمن، **مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي**، إشراف ومتابعة: محمد بن عبد الرحمن السعدي وآخرون، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1432هـ-2011م).

أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

السلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، **زيادات حقائق التفسير**، تحقيق: جيرهارد بورينغ، (بيروت: دار المشرق، ط1، 1995م).

السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**، تحقيق: علي محمد معوّض، وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ- 1993م).

السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر ابن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (المملكة العربية السعودية: دار الوطن، ط1، 1418هـ- 1997م).

السمين الحلبي: أبو العباس أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ- 1996م).

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ- 1974م).

السيوطي: جلال الدين، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1432هـ- 2011م).

السيوطي: جلال الدين، **لباب النقول في أسباب النزول**، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

السيوطي: جلال الدين، **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، قرأه وأتمه: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، (الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط1، 1426هـ).

الشافعي: شمس الدين، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ط، 1285هـ).

الشافعي: محمد الأمين بن عبد الله الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ- 2001م).

الشثري: سعد بن ناصر، **أدب الحوار**، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن آل الشيخ، (الرياض، دار الكنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ- 2006م).

شحاتة: عبد الله محمود، **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1976م).

الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (القاهرة، أخبار اليوم، د.ط، 1411هـ- 1971م).

الشعراوي: محمد متولي، **قصص الأنبياء ومعها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم**، ناشر: حسن محمود، (دمشق، دار القدس، ط1، 1426هـ- 2006م).

الشناوي: عبد العزيز، **مصر في القرآن والسنة**، (القاهرة: مكتبة الإيمان، د.ط، د.ت).

الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1415هـ- 1995م).

الشوكاني: محمد بن علي، **فتح القدير بين فني الرواية والدراية**، (بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ).

ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد، **المصنف في الأحاديث والاثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ).

الصابوني: محمد علي، **صفوة التفاسير**، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط4، 1402هـ- 1981م).

الصابوني: محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، (بيروت: دار القرآن الكريم، ط7، 1402هـ- 1981م).

الصابوني: محمد علي، **النبوة والأنبياء**، (دمشق: مكتبة الغزالي، ط3، 1405هـ- 1975م).

الصوفي: أبو العباس أحمد، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: حسن عباس زكي، د.ط، 1419هـ).

طبّارة: عفيف عبد الفتّاح، **اليهود في القرآن**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط10، 1984م).

الطباطبائي: محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، (د.م، شبكة الفكر، د.ط، د.ت).

الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، **التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم**، (عمَّان: دار الكتاب الثقافي، ط1، 2008م).

الطبرسي: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، (بيروت: دار المرتضى، ط1، 1427هـ- 2006م).

الطبري: محمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م).

طنطاوي: محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م).

الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

الطوفي: نجم الدين، **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1423هـ- 2002م).

ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984م).

عباس: فضل حسن، **تفسير القرآن المجيد**، (عمَّان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 1438هـ- 2017م).

ابن عبد السلام، العز، **تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1416هـ- 1996م).

عبد الوهاب: محمد، **تفسير آيات من القرآن الكريم**، تحقيق: محمد بلتاجي، (الرياض: د.ط، د.ت).

عبيد: محمد رشيد، **قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1424هـ- 2003م).

ابن عطية: أبو محمد عبد الحق الأندلسي، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).

علوان: نعمة الله بن محمد النخجواني، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، (القاهرة: دار ركابي للنشر- الغورية، ط1، 1419هـ- 1999م).

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ- 1979م).

ابن الفرس: أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم، **أحكام القرآن**، تحقيق: صلاح الدين بن عفيف، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ-2006م).

فضل الله: محمد حسين، **الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته**، (بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط5، 1417هـ- 1996م).

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ- 2005م).

القاسمي: محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ).

القرش: جمال بن إبراهيم، **قصة يوسف عليه السلام**، (القاهرة: مكتبة طالب العلم، ط1، 1432هـ- 2011م).

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ- 1964م).

القرني: عائض عبد الله، **التفسير الميسر**، (الرياض، العبيكان للنشر، ط5، 1436هـ-2015م).

القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت).

قطب: سيد، **التصوير الفني في القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط10، 1408هـ-1988م).

قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط32، 1423هـ- 2003م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، **بدائع التفسير**، تحقيق: صلاح أحمد الشامي، (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط1، 1427هـ).

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر، **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف: إبراهيم رمضان، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1410هـ).

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ- 1999م).

لجنة من علماء الأزهر، **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط18، 1416هـ- 1995م).

الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، **تفسير الماتريدي**، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1426هـ- 2005م).

ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت).

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

المبارك: محمد، **دراسة أدبية لنصوص من القرآن**، (بيروت: دار الفكر، ط5، 1419هـ- 1998م).

مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط1، 1393هـ-1973م-1414هـ- 1993م).

مختار: أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (القاهرة: عالم الكتب، ط1، 1429هـ-2008م).

مخلوف: حسنين محمد، **صفوة البيان لمعاني القرآن**، (دولة الإمارات العربية المتحدة: مطابع الشروق، د.ط، 1402هـ-1982م).

المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ- 1946م).

مسلم: أبو الحسن القشيري النيسابوري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

المظهري: محمد ثناء الله، **التفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي التونسي، (الباكستان: مكتبة الرشدية، د.ط، 1412هـ).

الملا علي القاري، نور الدين علي بن سلطان الهروي، **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، تحقيق: ناجي السويد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، 1971م).

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).

نخبة من علماء التفسير، بإشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، **المختصر في تفسير القرآن الكريم**، (الرياض، ط3، 1436هـ).

نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، إشراف: مصطفى مسلم، (جامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 1431هـ- 2010م).

الندوي: أبو الحسن علي الحسيني، **النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط7، 1420هـ- 2000م).

النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ- 1998م).

آل نواب: عبد الرب نواب الدين، **وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار**، (المملكة العربية السعودية: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ط، د.ت).

نوفل: أحمد، **سورة يوسف: دراسة تحليلية**، (عمَّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط.1، 1409هـ- 1989م).

النيسابوري: **غرائب القرآن وعجائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ).

الهاشمي: عبد الحميد محمد، **لمحات نفسية في القرآن الكريم**، (د.م، رابطة العالم الإسلامي، د.ط، 1402هـ- 1981م).

الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان، (دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1415هـ- 1995م)

رسائل جامعية:

دحمان: حياة، **تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة (يوسف) أنموذجاً**، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغة، قسم اللغة العربية وآدابها، (الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: جامعة الحاج لخضر– باتنة –، 1434هـ– 2013م).

مراجع شبكة الإنترنت:

حسين: عبد العال حسين محمد، المجلة العلمية، **مجالات الحوار وآدابه في ضوء القرآن الكريم**، (الرياض، جامعة الملك فيصل، 1439هـ– 2018م) ،

http://search.mandumah.com/record/932041